د. ناصر الزهراني

ليلة العمر



مكتبة العبيكان

ليلة العمر



ليلة العمر

تأليف
الدكتور/ ناصر بن مسفر الزهراني

مكتبة العبيكان

ح ناصر بن مسفر الزهراني، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، ناصر بن مسفر

ليلة العمر./ناصر بن مسفر الزهراني.- جدة، ١٤٢٧هـ

١٥٦ ص؛ ١٤×٢١سم

ردمك: ٣ - ٩٠٥ - ٥٢ - ٩٩٦٠

١ - الزواج (فقه إسلامي) ٢ - المرأة في الإسلام

٣- العلاقات الزوجية أ. العنوان

ديوي ٣٠١,٤٢٧ ٣٢٤٥ / ١٤٢٧

ردمك: ٣ - ٩٠٥ - ٥٢ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٣٢٤٥ / ١٤٢٧

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

يطلب من

العبيكان Obeikan
Publishers & Booksellers

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

هاتف ٤١٦٠٠١٨ فاكس ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

يا دوحـة الحب من روح وريحـان
بثي عبير الهوى صفواً لخلاني
ورتلي من هتـاف الشعـر أغنيـة
من وحي قلبي وإحساسي ووجداني
في ليلة العمر تاه الفكر من جذل
في ظل أنس وأشـواق وسلوان
نعم المسـاء الذي طابت دقـائقـه
وفيـه تحلو تراتيلي وألحاني
أتيـتكم وعبـير البيت في لغتي
وزمـزم عطرها يسـري بأوزاني
والخيف والمشعر الأسمى على علمي
ومن حراء اهتـمـاماتي وعنواني
في ليلة العمـر أفراح مغـردة
والليل زاك ووجـه الحفل نوراني
جئنا نهنئ بالعرس الجميل وما
أفاضه الله من فضل ورضوان
مـا ظنكم بلقـاء رائق عـبق
يسقي غراس الهوى فيه العشيقان

الحـمـد لله منزل الغيث ومنشئ الرياح، أسـعـد الأرواح بالأفراح، وعمر القلوب بالليالي الملاح، والصلاة والسلام على الداعي إلى الفلاح، وخير من غدا أو راح،عدد ما فاح من طيب الأقاح، وما أضاء من برق ولاح.. أما قبل:

فهذه ورود فواحة، وأغان صداحة، أهديها إلى أغلى حبيبين، وأجمل عروسين، أنثرها وروداً في طريق حبهما الجميل، وأرسلها ضياء في ليل وصلهما العليل، فيها إثارة لمكامن الشوق، وهزة لمشاعر الحب، واستجاشة لخواطر المودة وتذكير بأصول اللقاء، وتعطير للحظات الصفاء. إنها روضة فيحاء، وحديقة غناء، خرجت بها من المألوف، وبعدت بها عن الرتابة. جمّلْتُها بقصائد الشوق، وأغاني الهوى، ومعزوفات الغرام. إنها همسات مرح، وكلمات فرح، وزهرات سعادة. أهديها إلى الحبيبين في أسعد لياليهما، وأمتع أمانيهما، أزفها إليهما كما تزف العروس، وأقدمها مطرزة بما تحب النفوس؛ من عبارة حانية، وكلمة غالية، وهمسة صادقة، وموعظة عابقة.

وقد توجتها بعدد من قصائدي في هذا المجال، من الشعر الفصيح والشعر العامي، لتنشد في الأفراح، وتلحّن في الليالي الملاح، وتأنس بها الأرواح.

زغردوا واعزفوا أحلى الأغاني	يا عروسه ويا أحلى عريس
في هواكم صدحنا بالمعاني	زاكي اللفظ والمعنى نفيس
باقة من أزاهير البياني	كنها غادة كحلى تميس
تنثر البشر في ليل الأماني	يوم يظفر محب بالأنيس
ليل دانه لدانه ليل داني	يا عروس الثمي خد العريس

لو صدحنا من فرحنا ما علينا من ملام
انتشينا واحتفينا آه يا ليل الغرام

يا مغني قول وثني يا هلا بكل الحضور
شرفونا آنسونا أشعلوا فينا السرور

ويا عروسه إلى الغالي مسارك
وهلَ يوم المنى بعد انتظارك
واحنا جايين في الحفلة نشارك
وللمحبين بالفرحه نبارك

يا عريس الموده والحبور
يا عسى أيامكم بهجه ونور
جاتك الغاليه بدر البدور
تنثر العطر زاكي والزهور

ليل هايم تناهى في حلاه
يا محبين اذكروا الله في علاه
ويا مصلين زيدوا النبي صلاه
ويا مصلين زيدوا النبي صلاه [١]

---

(١) كل القصائد الواردة في هذه الرسالة من نظم المؤلف.

وإن هذه الرسالة وإن كانت مهداة للأحبة في ليلة العمر، إلا أنها رسالة مهمة لكل رجل، مفيدة لكل امرأة، نافعة لكل أسرة، ماتعة لكل بيت.

أسأل الله أن يعمر قلوبكم سعادة، وبيوتكم أنساً، ودنياكم مرحاً، وحياتكم فرحاً.. إنه سميع مجيب.

د / ناصر بن مسفر الزهراني



الزواج

أخي العريس.. أختي العروس.. بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير، وجمع الله شملكما، وأقر أعينكما، وحسّن حالكما، وعلى الرفاء والبنين والبنات، والتيسير والبركة، وسعد السعود، وأيمن الجدود، وجمع الله شملكما على الخير والبركة، ولا زال هذا الزواج موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، وعلى الخير والبركة، والألفة والمحبة، والطائر الميمون، والسعة في الرزق.. بارك الله لكما.

إن الزواج محطة كبرى في تاريخ الإنسان، إنه إشراقة عمر جديد، وفجر حميد، إنه وضع لبنة لكيان أسرة مسلمة، وبوابة لانطلاقة أجيال مؤمنة، وقد تثمر تلك الأسرة خيراً كبيراً يعود نفعه على الأمة بأكملها. إن الزواج انتقال مفاجئ من حياة إلى حياة، وجو إلى جو، وفكر إلى فكر، وعالم إلى عالم. فهو بأمس الحاجة إلى الاهتمام به، والالتفات إليه، والعناية بأربابه، والتوجيه لأصحابه.

وإن هنالك جهوداً مشكورة مأجورة، من كتب رائعة، ومؤلفات ماتعة، وصوتيات مفيدة، أولت هذا الأمر عناية كبيرة، في كل ما يتعلق به من أحكام وآداب وأسرار ومواعظ، وإن هذه الورقات ليست تكراراً لذلك، ولا ترديداً لما هنالك، فهي ليست

أحكاماً فقهية، ولا خطباً وعظية، ولا إرشادات جنسية، ولا تفصيلات علمية، وليست حديثاً عن الأسرة وتاريخها، والزواج وأحكامه، وشروط اختيار الزوجة، ومسائل المهر والعشرة والنفقة وتربية الأولاد، وما إلى ذلك، فتلك - على أهميتها - مراجع موجودة، ومصادر متوفرة، يجب على كل مسلم حريص على دينه أن يعود إليها، وأن يفيد منها.

وإنني لن أبدأ هنا بمسائل الزواج واختيار الزوجة وما إلى ذلك، بل سأدلف مباشرة إلى ليلة العمر، لأن مرادي من هذي الرسالة أن تكون هدية للعروسين في ليلة عرسهما لتضفي عليهما سروراً، وتزيدهما بهجة، وترسم لهما البسمة، في ليلة ودادهما، وظفرهما بمرادهما، ولحظات إسعادهما.

ثم ترسم لهما الطريق الجميل لاستمرار سعادتهما، ودوام مودتهما، ونعيم أسرتهما، وذلك لما ذكرته فيها من فوائد وقواعد، وأسباب وآداب، كانت خلاصة لتجربة، وثمرة لمعايشة.

في ليلة من ليالي الأنس هانئة
فيها أحاديث أشواق لقلبينِ
رسالة من محب صاغها درراً
تُروى وتُهدى إلى أغلى عروسينِ
تساقيا من كؤوس الحب واجتمعا
على المودة بعد البعد والبينِ
في ليلة العمر يشدو القلب من طربٍ
ونشوةٍ آهِ يا ليلي ويا عيني



حق للإنسان أن يختصر عمره المديد كله، بطفولته وشبابه وشيبته، بتجاربه، بقصصه، بمغامراته، بحلوه، بمره، بسعادته، بشقائه، بصحته، بسقمه، بسفره، بحضره، في ليلة منه يسميها الناس: (ليلة العمر)!.

وما أدراك ما ليلة العمر.. إنها الليلة التي تتفتح فيها أزهار القلب، وتعزف فيها أوتار الحب، وتتدفق أنهار القرب. إنها لقاء هذا النصف المتعب المنهك المتلهف المتشوق بنصفه الثاني، وسكن هذا الجزء إلى جزئه، وائتلاف هذا الفرد بزوجه، والقرين بقرينه، والشريك بشريكه، في ليلة عامرة، وفرحة غامرة.

إنها الليلة التي يُطلق فيها العنان لأغاني الروح، وأهازيج الشوق، وتراتيل الغرام، وهمسات الهيام. الليلة التي ترقص فيها المشاعر، وتميس النفوس، وتتمايل الأجسام، وتطرب الخلجات. إنها الليلة التي تسكر فيها العقول بالخمرة الحلال، وترتوي فيها القلوب من النهر الزلال، ويستريح المسافر المضنى إلى واحة وظلال. يقطف أزهار الجمال، ويتذوق ثمار الدلال، وينعم بدفء الوصال.

إنها الليلة التي يفطر فيها المحب بعد طول صيام، فإذا بالروح تنادي: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الحب إن شاء الله، فتجتمع لهذا الصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء حبيبه، ويظفر بلثم فم أطيب إليه من ريح المسك.

الليلة التي تفتّح فيها أبواب جنان الحب، وتصفد مردة شياطين اللهو، والدقيقة فيها بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. بل إن يوم الزواج وليلته ليست أربعاً وعشرين ساعة، بل هي أربع وعشرون ليلة، وأربعة وعشرون يوماً، في كل يوم وليلة ألف وأربعمائة وأربعون دقيقة، في كل دقيقة ستون سنبلة، في كل سنبلة مائة فرحة، والله يضاعف لمن يشاء.

آمنت أن سروري بين أحضانك
وأن أحلى ثماري جني أغصانك

إذا ترنح أهل الفن من طرب
فلست أذكر إلا عزف ألحانك

ما هزني من ترانيم الهوى نغم
إلا إذا كان فيه وقع أوزانك

وإن تحدث أهل المال عن عرض
سرحت في بحر تقسيمات فستانك

كم عشت في ظلمات التيه مجدبة
مشاعري فاهتدى قلبي لعنوانك

فأورق الجدب من كفيك وابتسمت
لي الأماني من إشراق وجدانك
وأزهرت في فؤادي كل ظامئة
وجاد غيث الرضا من صوب هتانك
تسقين غرس الهوى والحب في خلدي
وتبذلين لأجلي فوق إمكانك
وما رأيت فراشات على ثمر
إلا تذكرت فيها لطف إذعانك
لا غيب الله عن عينَيّ ما اكتحلت
به من الأنس في أسرار أجفانك
لو الكواكب تدنو لي فأنظمها
شعراً لما كان إلا بعض ديوانك
لكنها أحرف الإجلال ساجدة
تبقى نقوشاً على أبواب إيوانك
أنت الهوى والمنى والحب يا أملي
لو تأمريني أبيع العمر من شانك

يا الله ما أروعها من ليلة! تاه بها الحكماء، وتغنى لها الشعراء، وغرد بألحانها المغنون، وهام في جمالها وجلالها العاشقون. إنها الليلة الفرد، فإذا قيل (ليلة) فلا ينطلق الذهن إلا إلى تلك الليلة. إنها بمجرد أن تذكر يشعر الإنسان بهزة في وجدانه، وقشعريرة في جسده، ورجفة في قلبه، وجمال ينساب إلى روحه، بل ويشرد الذهن عند ذكر تلك الليلة مباشرة. يشرد

ولكن إليها، ويهرب ولكن إلى ذكرياتها، فيهيم القلب، ويتيه الشعور، وتتراقص معاني الجوى، وإذا بهمسات العناق، وحرارة اللقاء، وسخونة القبلات، وموسيقا الأنفاس، ودفء الأحضان، وجنون المشاعر، ووله العشق. إذا بها جميعاً تخالط الذاكرة، وتمازج الروح، وتحتشد أمام العين، وتغرد للأذن، وتداعب الخلجات، ويشعر المرء أنه ارتمى في أحضان تلك الليلة الحالمة، فإن كان قد عاشها من قبل فهو يتذكر كل ذرة من ذراتها حتى لو أنه قد مضى عليها عشرات السنين، وكأنها كانت البارحة، وإن لم يكن عاشها بعد فهو يتطلع إليها كما يتطلع العطشان إلى الماء البارد، بل ويعيشها بقلبه ومشاعره وآماله، وينتظرها بفارغ الشوق، حتى لكأنما دقائق انتظارها أيام، وأيامها شهور، وشهورها سنوات.

يا الله! هل هناك أحلى صورة في قلب الشاب ووجدانه من الصورة التي رسمها لنفسه وعمره وعاش على ذكراها. الصورة التي يتمنى أن يراها في كل لحظة، صورته يوم أن يجد بغيته، أو يظفر برفيقة دربه، وحبيبة قلبه، ويوزع بطاقات الدعوة، ثم يأتي الموعد المرتقب، فيتزين بأحسن الزينة، ويتطيب بأروع الطيب، ويلبس أجمل الملابس، ويرسم على وجهه أحلى بسمة، وتقبل ساعات اللقاء، وتقترب لحظات الوصال، ويعلو صوت خفقات القلب، وينجلي ليل الهم، وتفتح أبواب الفرحة، ويلتقي بعروسه الجميلة ليضمها إلى صدره

ضمة تنسيه ما مر به من ألم طوال حياته، فلو سئل هل مر بك بؤس قط؟ لقال: لا.

ما أجمل تلك اللحظات التي يسمع فيها عبارات التهاني، وكلمات التبريكات، وأغاني الفرحة، وزغردات اللقاء، وهتافات الأحبة، وألف صلى الله عليك وسلم يا حبيب الله محمد..

وعـــــريسنا يا بدر بادي

غطى على كل البــــدور

إن هذه الذكرى الجميلة تظل تفوح بشذاها في قلب الإنسان، وتتراءى أمامه إلى آخر لحظة من لحظات عمره؛ لأنها ليلة العمر، وهل هنالك أجمل ليلة، أو أمتع لحظة، أو أعذب منية، أو أسمى مطلب للفتاة من تلك الليلة التي تزف فيها إلى ربيع عمرها، وأريج حياتها، وفتى أحلامها، وحبيب فؤادها!؟.

ما من فتاة إلا وهي تذوب شوقاً، وتفيض هياماً بتلك الليلة التي تظهر فيها بفستانها الأبيض، تميس فيه أمام الأحبة، لتعلن انبثاقة الحياة البيضاء المميزة، والقلب الأبيض المحب. الفستان الذي يحمل في زركشته ولونه كل معاني التفاؤل والأمل. ما من فتاة إلا وهي تتمنى أن تتربع على عرش مملكة الزواج بجوار أغلى حبيب، وأعز رفيق، وقد أحاط بها الأحبة من كل مكان، ونثرت عليها الزهور، وعبقت الورود، وتعالت زغاريد الفرح.

إن أجمل لحظة في تاريخ الفتاة، وأعذب ومضة في عمرها، هي تلك اللحظة التي تضع فيها كفها المرتعشة في كف زوجها، فيسري دفؤها وحنانها إلى حنايا الروح، حاملاً معه من الحب والرضا والبهجة ما لا حد له. إنها اليوم كأنما ولدت من جديد، فهي الطفلة المدللة التي تتشوف إلى الصدر الحنون، والأحضان الدافئة، لتنام قريرة العين، هانئة القلب، مشبعة العواطف.

أحلى أماني البنت ليلة فرحة
ترنو لمشرقها ودفء حنانها
كم مرت الأيام وهي مشاعر
فياضة كالنهر في فيضانها
وتهزها ذكرى اللقاء فتنتشي
شوقاً إلى النسمات من خلانها
وتفوح رائحة الزمان شذية
كروائع الأزهار في بستانها
هذي ثمار الحب حان قطافها
فتمايلت طرباً على أغصانها
ودنا ربيع الوصل يعزف لحنه
للغادة الحسناء في ريعانها
ميلاد بهجتها وفجر حياتها
تبدو لها في يوم عقد قرانها
لا شيء أجمل عندها من ليلة
تتعانق الأطياب في فستانها

وترى فــتى أحــلامــهــا بجــوارها
تمضي علـى وجناته ببنانهـــا

فـــوق المنصـــة جلســة ملكيـــة
لا يرتقي مـجـد إلى تيـجـانهـا

والأهل والأحـبــاب والبــشـرى ومـا
تشـتـاقـه الأرواح من سلوانهـا

تعلو زغـاريد المودة حــولهــا
والأنس و الرضـوان يكتنفـانهـا

والليل مـخـمـور على عـزف الهـوى
والغـانيـات رقـصن في مـيـدانهـا

وتَسَابُق الأطفـالِ يرسم لوحـة
إذ ينثـرون الورد في أحـضـانهـا

في لـيلـة جـــذابة خـــلابة
تـتـراقص الخلجـات من ألحـانهـا

وتنام في كـــوخ المودة ســاعـــة
تنسى بهـا الدنيـا وأهل زمـانهـا

إن الفتاة أكثر حباً وشوقاً وتطلعاً لليلة العمر من الشاب، ولذلك فهي منذ نعومة أظفارها تلعب أحسن ما تعلب، وتأنس أجمل ما تأنس، بعرائسها الجميلة التي تتفنن في اللعب بها، وفي مناغاتها والسهر معها، وكأنما تتحدث إلى نفسها وعنها، ويضاف إلى ذلك أن المرأة في هذه الليلة تهب زوجها أعز ما تملك. إنها تهبه عنوان حياتها، وسر عمرها، ومفتاح عالمها،

ودليل شرفها، وبرهان عفافها. هذا الشرف الذي عاشت تفاخر به، وظلت تحافظ عليه، وكان ذهاب روحها أهون عليها من ذهابه. ها هي اليوم تتنازل عنه لحبيب القلب، ورفيق العمر، كأغلى أمانة، وكلها أمل أن يقدر لها ذلك، وأن يحافظ عليها، وأن يحترم هذه التضحية، ويقدر تلك العطية، فهي بذلك قد سلمته روحها، وأعطته زمامها، فلو غدر بها، أو خان عشرتها، أو تخلى عن رفقتها، فإنها الخاسر الأكبر، فقد كُسر جناحها، وسلب شبابها، وذهبت نضارتها، فيا الله ما أقسى وأظلم من يضيع هذا الميثاق الغليظ!.

ونعود إلى ليلة العمر، وفجر الحب، وصبح الهوى، وربيع السرور، وجذوة المنى، ونشوة الروح، وطرب القلب، ورقصات الخلجات.. يا لها من ليلة عذبة الأجواء، رائعة الأصداء، بديعة الجمال، وارفة الظلال، حلوة الذكريات، مشرقة الأمنيات.

إنها ذكرى أمانينا الجميلة
وهي أحلى في الهوى من ألف ليله
ينتشي قلبٌ محبٌ عاشقٌ
في رؤى عينيك يا أغلى حليله
يا شذا عمري ويا عطر الهوى
يا فيوض الأنس للروح العليله
آن للمشتاق أن يسلو بمن
عاش يهواها وأن يروي غليله

إن يكن قد تاه قلبي زمناً

فهو الليلة قد وافى دليله

هذان قلبان اجتمعا في قلب، وروحان اتحدتا في روح، ونفسان التأمتا في نفس، فاعزفي يا أماني، واصدحي يا أغاني، وتراقصي يا خمائل، واطربي يا جداول، وابتسم يا زمان، وتمايلي يا أغصان.

هذا حبيبي أمامي
وسلوتي وغرامي

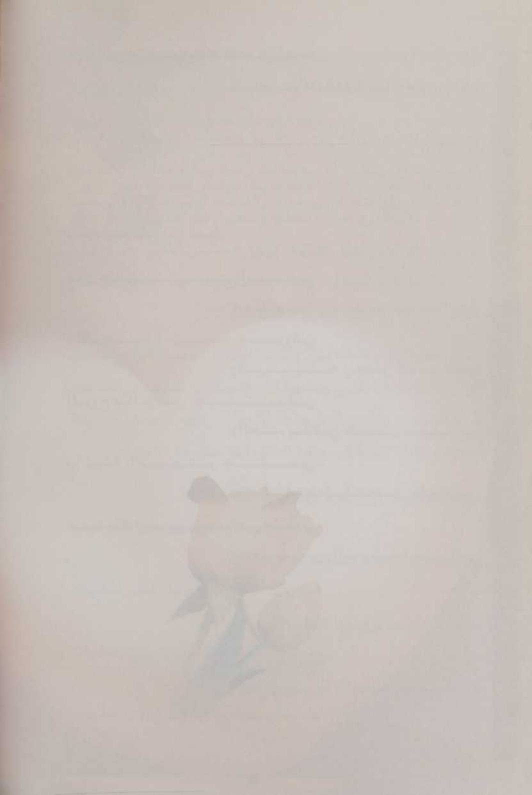
تتيه فيه حروفي
وفيه يحلو كلامي

الروح بالوصل جذلى
والحب يذكي هيامي

يا ليلة العمر جئتي
والقلب للخل ظامي

فيك ابتهاجي وأنسي
وراحتي وانسجامي





الزواج نعمة ربانية وآية إلهية

إن الزواج من أعظم النعم الربانية والمنن الإلهية، التي امتن الله تعالى بها على عباده، ودل بها على فضله، وأخبر أنها آية من آياته الساطعة، لأناس يتفكرون، وقوم يعقلون، وهي والله كذلك، فلو تأمل الإنسان سنة الزواج، وحقيقة اللقاء، وأسرار الوصال، لرأى العجب العجاب، اسرح بخيالك، حلق بوجدانك، في سماء هذه السنة البديعة، تأمل ميول الجنسين بعضهما إلى بعض، تأمل المشاعر، تأمل الخواطر، تأمل الأحاسيس، تأمل الزواج، تأمل المودة، تأمل الحب وخلجاته، والشوق وآهاته، والغرام ولذعاته، تأمل الرحمة والسكن، تأمل المعاشرة الجنسية، واللحظات الرومانسية، تفكر في الحمل، في الولادة، في الرضاع، في الأبناء، في العاطفة، في الأمومة، في الأبوة، في الأسرة، في العلاقة.. عالم عجيب، ميدان غريب، نبأ عظيم.

سُنّه جميله من الفطره
وحكمه عظيمه إلهيه
وكتاب مفتوح في سطره
آيات للناس مرويه

والـــورد أرســـل لـــنـــا عـــطـــره
ولـيـلـه زكـــيـــه هـواويه
وتـأمـلـوا حـكـمـــة الخـــلاق
فـــي كـــل شـــي لـــه آيـــه
فـي الـلـون فـي الـكـون فـي الأرزاق
في الـعـــالـم الرايحـــه والجـايه
في رقـــة الـطـبـع في الأخـــلاق
وآيات مـــا في لهـــا نهـــايه
في عـــالـم الحـب في الأشـــواق
في روعـــة الوصل في الـغـــايه

إنها أسرار وأخبار لا يحيط بها بيان، ولا يرسمها بنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

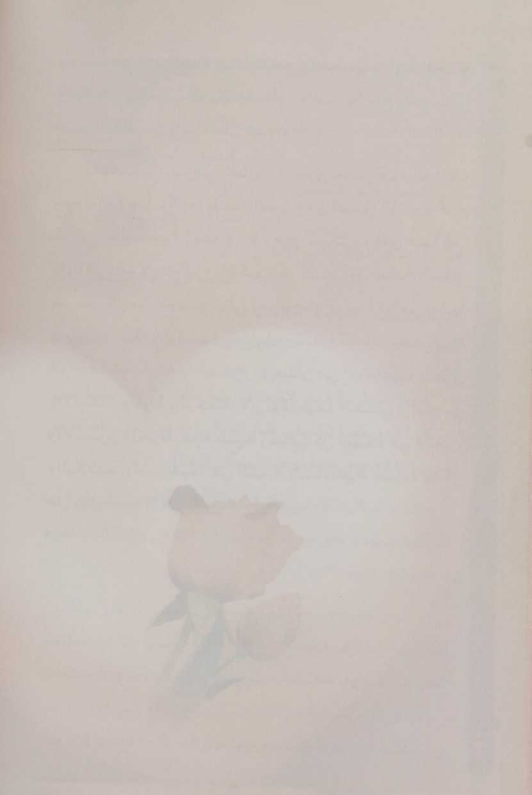
وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً و وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر،

وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ .. ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .. فيدركون حكمة الخالق من خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد) [في ظلال القرآن].





الزواج شريعة وفطرة

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد: ٣٨].

ولقد بدأت تلك الشريعة بآدم عليه السلام وعاش حياته راغدة في كنف حواء ودفئها وسكنها، وهكذا الأنبياء - عليهم السلام -، هذا داود كان له تسع وتسعون زوجة، وذاك سليمان عليه السلام وقصة ملكة المجد والجمال، وذاك إبراهيم عليه السلام وزواجه بسارة ثم هاجر، وذاك موسى عليه السلام الذي تزوج بتلك الفتاة المؤمنة الحبيبة العفيفة، وهي التي جاءته على استحياء، فتحمل ليظفر بها مهراً كبيراً، إنها عشر سنوات من التعب والمشقة ورعاية الغنم، ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٧]، وهكذا الأنبياء عليهم السلام وقصصهم وأخبارهم الزوجية تملأ الزمان والمكان.

وبين تعالى أن من صفات عباد الرحمن أنهم يسألون الله تعالى أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تقر به أعينهم،

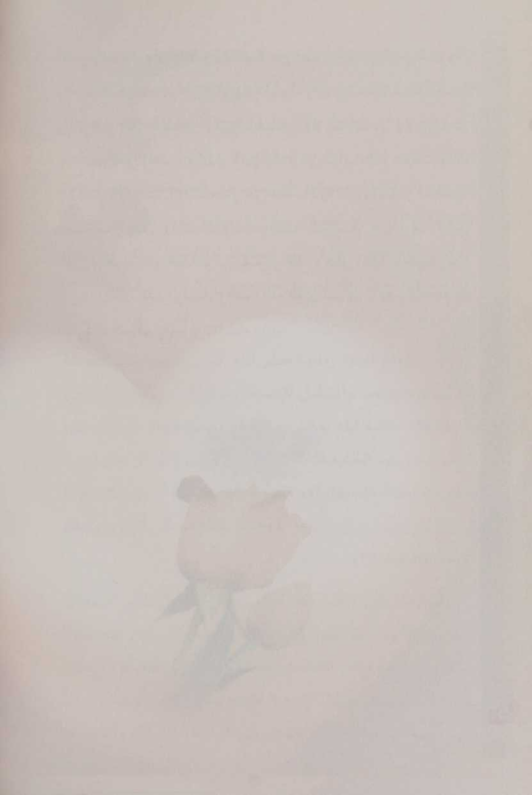
وتلذ به حياتهم، وتطيب معه معيشتهم ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ويقول ﷺ: «**.. وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» [أخرجه البخاري: ٤٧٧٦]، بل ويحث على ذلك ويدعو إليه: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» [أخرجه البخاري: ٤٧٧٨]، ويقول عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: (لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكي لا ألقى الله عزبا).

إن الزواج فطرة ربانية فطر الله الناس عليها منذ اللحظة الأولى لوجودهم، والمتأمل لقصة آدم عليه السلام يرى ذلك واضحاً جلياً؛ فقد خلقه الله تعالى، وخلق له زوجه حواء، فبدأت هذه السنة منذ بدء الخليقة، ثم انظر إلى تعبير القرآن عنها منذ فجر الخليقة، فلم يقل آدم وامرأته أو رفيقته أو شريكته، وما إلى ذلك، بل هي زوجه: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ [البقرة: ٣٥].

ثم انظر إلى حكمة الله تعالى، فقد كان بالإمكان أن يخلق الله رجالاً ونساء، يبثهم في الكون دون أن يكون لهم صلة بعضهم ببعض، ولكن اقتضت رحمته تعالى أن يخلق آدم ويخلق منه زوجه، ويبث منهما نتيجة لزواجهما واتصالهما، رجالاً كثيراً ونساء، ليكون ذلك دليلاً على الرابطة القوية، وأنكم من

نفس واحدة، وأن الناس جميعاً من أصل واحد وأب واحد وأم واحدة، فيجب أن يكونوا إخوة، وأن يراعوا هذه الصلة والقرابة، فلا يتقاتلون ولا يتباغضون ولا يتقاطعون ولا يتفاخر بعضهم على بعض، فكلهم لآدم، وآدم من تراب. إذا عرفت ذلك فتأمل الإيجاز والإعجاز في هذه الآية التي تبهر النفس، وتسعد الحس، وتبث الروعة، وتنثر العظمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].





الله تعالى في عون المتزوج

إن من الأمور التي ييسرها الله للمسلم ويعينه عليها، ويسهل له سبيلها، ويرزقه بأسبابها؛ الزواج، يقول تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] ويقول تعالى آمراً ومبشراً لذوي العفة والطهر والفضيلة: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣].

ويقول ﷺ: «**ثلاث كلهم حق على الله عونهم؛ المجاهد في سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكاتب يريد الأداء**» [أخرجه أحمد (٧٤١٠) وحسنه الترمذي (١٦٥٥)]، ويقول ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله**» [أخرجه أحمد (٩٣/٣) وصححه ابن حبان]، ويقول ﷺ: «**من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي**». [أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٤٧) وحسنه الألباني في الصحيحة: ٦٢٥].

إن العفاف رفعة للمرء في الدنيا والآخرة، ولذلك كان جزاء من خاف ربه واتقاه وحفظ نفسه من الوقوع في الحرام

والاندفاع وراء الشهوة، أن يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ولقد أثنى الله تعالى على المؤمنين وامتدحهم، وبين أن من أجمل صفاتهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٩]، وكان أحد الصالحين قد هام بامرأة وأحبها وأحبته، فلما أراد لقاءها يوماً من الأيام قالت له: إن الله تعالى يقول: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وأنا لا أحب أن تنقلب خلتنا إلى عدواة في ذلك اليوم العظيم.

قال سقراط لأحد تلاميذه: (تزوج يا بني فإنك إن رزقت بامرأة صالحة أصبحت أسعد مخلوق على وجه الأرض، وإذا كانت شريرة صرت فيلسوفاً).



المرأة عنوان الجمال والحب

غالباً ما تظلم المرأة حتى في الحديث عنها أو الإشادة بمكانتها، فالنصيب الأوفى دائماً للرجل، وإن أوتيت حظاً من الحديث أو نصيباً من التوجيه فأغلبه عبارة عن تخويف وتهديد وترهيب ومحاذير وتنبيهات ومواعظ، لكن قل أن نجد من أحاديثنا إليها ما يملأ قلب المرأة روعة وجمالاً، وإشرافاً وسمواً، وعزة وافتخاراً، ونشوة وطرباً، وحباً واحتراماً، وثباتاً وإقداماً.

قل أن تجد الحديث الذي يتسلل إلى فؤاد المرأة عن طريق أهم صفة فيها، وهي صفة العاطفة، فيجلي لها أهميتها في الكون، ويشرح روعتها في الحياة، ويبين عن أسرار جمالها، وروائع دلالها، ويعزف على أوتار الحب والغرام والشوق والهيام.

أشرق الأنس والرضا والنضار
وتغنت بلحنها الأطيار
في مغاني حواء تحلو الأماني
وتطيب الألحان والأشعار

يا ضـيـاء النفـوس يا خـيـر فـجـر

يـتـبــاهى بوجنـتـيــه النـهــار

يـا ربـيـع الأرواح يـا فـــيـض حب

تـتـــلاشى أمـــامـــه الأنـهـــار

أنـت لـلـقـلـب دوحـــة مـن نـعــيـم

أنت فـي الأرض روضـــة مـــعـطـار

إن ذكـرنـا رياك ذبـنـا اشـتـيــاقـاً

أو كـــســبـنـا رؤياك طاب المزار

طبت أخـتـــاً وزوجـــة طبت أمـــاً

كـم تـربـى فـي حـــضـنـك الأبـرار

يـا بـنـاء الأجــيـــال لا زلـت عـطـراً

ضـــمـخـت مـن عــبـيـــره الأزهـار

عــجب الـدهـر لـلـنـســاء الـلـواتي

هـن فـي لـيـل عـــمـــره أقـــمـــار

المرأة عالم عجيب، وعنوان حبيب، ونبأ غريب..

المرأة كون فسيح، وفضاء مريح، وصوت مليح..

المرأة جميلة، بل هي أجمل ما في الكون بعد الإيمان بالله ورسوله، هي متعة الحياة، وزينة الدنيا، وعطر الوجود، وسلوان الفؤاد، وبهجة الضمير.

المرأة قلب رقيق، وعاطفة جياشة، وفؤاد حنون، في قلب الرجل ألف باب يدخل منها كل شيء ولا تزال مـفـتـحـة، فإذا

دخلت المرأة أغلقتها جميعاً، هي المودة والرحمة، والسكن والنعمة، والجمال والبسمة. تظلم الأيام في وجه الرجل فتشرق على ابتسامة المرأة، وتعبس الأحداث في دنيا الإنسان، فتعزف ألحان الرضا على نغمات المرأة، وتقسو الليالي فتذوب قسوتها بزلال من حنان المرأة، ويكفهر الوجود، فتشرق قسمات وجهه على ترانيم المرأة، لو صرخت الدنيا بكل ما فيها قائلة للرجل: أكرهك، فإن المرأة إذا قالت: أحبك، نسفت ذلك كله.

المرأة روعة الحنان في الحياة، وإشراقة الوجدان في الكون، إن كانت مع الرجل في الطائرة حلق بخياله معها أفضل وأعلى من تحليقه في الجو، يقترب من أفقها البعيد، ويستظل بغيمة حبها السعيد، وإن كانت معه في البحر سبح بمشاعره معها، وغاص على اللؤلؤ والمرجان في أعماقها، فكانت سعادته أعظم من سعادة السابحين، وعادت شباك فكره بأجمل مما يعود به الصيادون، وجاءت فوائد غوصه بأفضل مما ناله الغواصون.

وإن كانت معه في السيارة أصبح الطريق الطويل قصيراً، والوعر سهلاً، والمرهق هيناً، وإن كانت في الحديث كان صوتها أندى من صوت الشحرور، وعطرها أزكى من عطر الزهور، وقوامها أجمل من قوام النخلة، ورحيقها أعذب من شهد النحلة، وإن كانت في البيت ملأته سعادة، وغمرته حباً، وأفعمته أنساً، فلو كان ضيقاً أصبح بحبها رحباً فسيحاً، ولو كان متعباً عاد بقربها جميلاً مريحاً، وإن كان مظلماً غدا

بنورها مشرقاً بهيجاً، نظراتها ساحرة، وبسماتها آسرة، ونغماتها عاطرة.

المرأة كالماء الزلال، والغيث الهنيء، إذا انسكب في النفس اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، تحلو بها الأيام، وتذهب معها الآلام، وتزكو بها الأنسام، منشأة في الحلية، وغير مبينة في الخصام، يكون الرجل قوياً شجاعاً هماماً مهيباً، فإذا وقف أمام المرأة أصبح كالحمل الوديع بين يديها، وكعود البان الرطب ينثني بكفيها.

لو أعطي الرجل الدنيا بحذافيرها، والحياة بمتعها، على أن يحرم من المرأة لألقى بها جميعاً واختار المرأة. إذا سكنت المرأة قلب الرجل جملت الحياة في عينيه، وحببت الدنيا لناظريه، وأصبح يرى كل شيء جميلاً، وإذا غادرت عن فؤاده، ورحلت عن وداده، فمهما ابتسمت له الأيام، وتزينت له الأعوام، فإنه يراها سوداء قاتمة، نكراء مظلمة.

فهل تحلو الحياة بلا أريج
يفوح عبيره في كل ذات
وهل نغم الوجود يطيب إلا
بصوت من هتاف الغانيات
وهل تمسي المشاعر وهي ظمأى
وفي خلجاتها نهر الفرات

وهل ترنو إلى الأطيـــــاب روح
تبـيت بدوحـــة المسك الفـتــات
وكم أهدى لنا الشعـــراء وصـفــاً
لجـيـــد الظبي أو عين المهــاة
مـــلاحم للبـيـــان تظل تروي
أحـــاديث الغـــرام الســاحــرات
بنيت لهن في قلبي قـــصـــوراً
بآيات المحــبـــة مـفـعـمــات

المرأة جعلها الله من أعظم نعيم أهل الجنة، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٦ - ٣٧].

وقال الجميل المجمل ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم: الطيب والنساء**». [أخرجه البيهقي (٧٨/٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع].

والمرأة سكنت وجدان النبي ﷺ واستقبل الوحي في رحاب امرأة، وثبتته امرأة، حتى استحقت أن يُحييها الله تعالى من

فوق سبع سماوات، فقد جاء جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ قائلاً له: «**أقرئ خديجة السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب**». [أخرجه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (٢٤٣٢)].

وغادر ﷺ الحياة الدنيا ورأسه على صدر امرأة، تقول عائشة -رضي الله عنها-: «**توفي رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري**» [أخرجه البخاري: ١٣٢٣].

ملأ ﷺ بالمرأة قلبه، وملأ بالسعادة قلبها، تشرب فيدير الكأس ويشرب من موضع فمها، وتسافر معه فيسابقها ويمازحها ويضاحكها، ويجلس على مائدتها فيأنس لحديثها ويضحك لمزاحها، ويهتف بحقوقها وعدم ظلمها.

وينادي ﷺ في الناس: «**اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً**». [أخرجه أحمد (٧٢/٥) وحسنه الألباني في الإرواء (٢٠٣٠)].

ويقول ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» [أخرجه مسلم: ١٤٦٧]، ما أجمل المرأة يوم أن تكون صالحة شريفة، محبة عفيفة، نقية نظيفة، تعبق بالحب، وتفيض باللطف وتكتسي الحياء، وترتدي الوقار. ما أجملها حينما تكون درة مصونة، ولؤلؤة مكنونة، وحليلة مأمونة.

وهل جنة الدنيا وروعة الحياة بعد الإيمان إلا في ظلال الحب، وفي بساتين الغرام، وهل أحسن سعادة، وأجمل أنساً

من الإحساس بقلب يحبك، وفؤاد يعشقك، ووجدان يحنو عليك، وغرام يظلّك في هجير الحياة اللافح، وأين يجد المرء ذلك؟ أليس في المرأة!!.

وتطرب مهجتي ويذوب قلبي
لعين الظبي أو جيد الغزال
وروعة منطق ورهيف قد
ووجه بات يهزأ بالهلال
أتيه بكل غانية مصون
محياها من الغدرات خالي
فؤاد مترع بالحب يهوى
أفانين الملاحة والجمال
ولولا خشية لجلال ربي
لعشت رهين ربات الدلال
ولكني أتوق لحور عينٍ
لهن بجنة المأوى وصالي

لقد ضربت المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ أروع الأمثلة للمرأة المؤمنة، وتألقت في شتى مجالات الحياة، وكان لها أطيب الأثر، وأجمل الفضل في رفعة المؤمنين، وعزة المسلمين، بصلاحها في نفسها، وتضحيتها لدينها، وتربيتها لأبنائها، وصدقها مع زوجها، وكانت تجد من المصطفى ﷺ وصحابته وافر التقدير، وبديع الاحترام، فكانت الوالدة المربية، والمعلمة

الفاضلة، والمجاهدة المناضلة، والفقيهة العابدة، والحكيمة البليغة.

وفي كتب السير من أخبارهن ما يسلب اللب، ويبهج القلب، ويمتع الوجدان، ويبيض الوجه.

إن المرأة بلطفها وعطفها ورفقها وصدقها إذا توجت ذلك بإيمان بربها، وطاعة لمولاها، واتباع لنبيها، تأتي بالعجب العجاب، وترتقي إلى أعلى الأسباب حيث تصبح البركة بركتين، والروعة روعتين، ولذلك يصطفيها الله مرتين: ﴿ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وانظر إلى بركات المرأة على الدنيا بأسرها.. هذه هاجر - عليها السلام - لا زلنا إلى اليوم نتضلع من ماء حفرته بيدها، وجاء استجابة لدعائها، وإكراماً لابنها، فإذا به طعام طعم، وشفاء سقم إلى قيام الساعة.. وها نحن إكراماً لها في كل حج وعمرة نحذو حذوها، ونسير على أثرها، نطوف كما طافت، ونسعى كما سعت.

وها هي آسية زوج فرعون - رضي الله عنها - كانت سببا في حفظ موسى ﷺ وملاذاً لحمايته، ومأمناً لرعايته، فاهتدت به أمم، واستنارت به دول.

وها هي مريم - عليها السلام - البرة القانتة جعلها الله تعالى معجزة لدين، ودليل العظمة، وأعجوبة الدهر، فأنجبت

عيسى بن مريم عليه السلام بكلمة من روح الله تعالى، فكان نبياً من الصالحين، ورحمة لقومه أجمعين.

هذه خديجة - رضي الله عنها - وقد سبق الحديث عنها.

هذه عائشة - رضي الله عنها - وفضلها على الإسلام.. والتي أخبر ﷺ أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.. وهي العالمة الجليلة، والفقيهة العظيمة.

هذه أسماء بنت أبي بكر..

هذه سمية أول شهيدة في الإسلام..

هذه أم عطية التي تقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى..

هذه أم سليم التي كان يغزو بها ﷺ معه، فتسقي الماء، وتداوي الجرحى مع نسوة من الأنصار.

وختاماً هذه وقفة مع امرأة من أعظم النساء، وأفضل المؤمنات، حديثها عجيب، وخبرها غريب، وجهادها عظيم. إنها نسيبة بنت كعب المازنية، أم عُمارة - رضي الله عنها - فقد كانت في غزوة أحد تسقي الظماء، وتداوي الجرحى كما يصنع غيرها من النساء، إذا كانت كفة المسلمين هي الراجحة. ولما وقعت مخالفة الرماة عن أمر الرسول الكريم التي بدلت نصرهم هزيمة، فأضحوا كما قال الله تعالى فيهم: ﴿إِذْ

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، تقدمت نسيبة، فاستلت سيفها، واحتملت قوسها وانضمت إلى القلة الصامدة مع رسول الله ﷺ التي كانت بمثابة جدار بشري يحمي الرسول ﷺ من سهام المشركين. وكلما دنا الخطر من رسول الله ﷺ سارعت إلى الذود عنه، حتى إنها لفتت نظر رسول الله ﷺ، فقال: «**ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني**» [أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٨/٤١٥].

في هذا اليوم العصيب أُثخن جسد نسيبة بالجراح، وهي تجالد القوم وتضرب نحورهم، ويراها رسول الله ﷺ، فينادي ابنها: أُمك أُمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت. مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، فلما سمعت أمه قول الرسول ﷺ قالت: أُدع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**»، فقالت: ما أُبالي ما أصابني في الدنيا [أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٨/٤١٥].

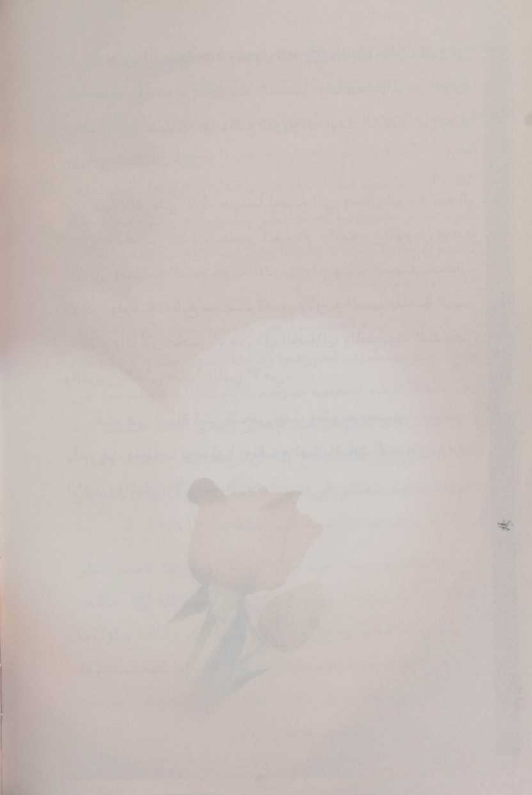
ولم يقتصر جهاد أم عمارة الصادق وبلاؤها الحسن على غزوة أحد، بل شهدت عدة مشاهد مع رسول الله ﷺ، فكانت معه في بيعة العقبة والحديبية وخيبر وحنين، وكانت بطولاتها في حنين لا تقل روعة عن بطولاتها في أحد، ثم شهدت معركة اليمامة في عهد الصديق رضي الله عنه، وجاهدت أروع جهاد، وجُرحت أحد عشر جرحاً، وقطعت يدها.

لا جرم أن يبشرها رسول الله ﷺ بالجنة، وأن تكون من بعده موضع تقدير الخليفة الصديق وقائده خالد بن الوليد - رضي الله عنهما - وموضع تكريم الخليفة الراشد من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فيا الله على المرأة حينما تجمع إلى جمال الوجه جمال الروح، ولحسن القوام حسن القيام، ولخمرة الوصل روعة الأصل، ولطيبة القلب طيبة الدرب، ولحجاب الجسد حجاب الفكر، ولرقة الطبع صفاء النبع، ولأريج الحب طاعة الرب، وللغنج والدلال الحياء من ذي الجلال، وللصوت الشجي والتزين بالحلي طاعة النبي الأمي.

هذه هي المرأة التي نتغنى بها، ونترنم بحبها، ونشيد بأمرها، ونطرب لوصلها، ونقدم لها باقات الإجلال، وآيات الإكبار، وألفاظ الإعجاب.







وهذه بعض أقوال العلماء والأدباء والشعراء والحكماء والفلاسفة عن المرأة، ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بقراءة كتب أخبار النساء وطرائف النساء.

من هي المرأة؟

هي الوحي في فكر العقول تهفو..

هي الزهر في روض الغرام تنمو..

هي الطير في جو الهيام تعلو..

هي النجم في لثام الحب تبدو..

هي القمر في ظلام الليل تزهو..

هي الشمس في فضاء الكون تسمو..

هي السعادة في سماء الحب ترنو..

هي الروح في أجواء العواطف تجثو..

هي الآمال في أعماق الصدور تطفو..

هي الجمال في معاني الحنان تشدو..

هي الفتنة في ألوان الجاذبية تغدو..

هي الحب في قضايا العشاق تشكو..

هي قبلات في ليالي الربيع تحلو..

حوار مع حواء:

قالت: كيف تراني ؟.

قلت: زهرة يانعة رسمتها الطبيعة.. وخطتها بأناملها السحرية.

قالت: وروحي؟.

قلت: من الشمس حرارتها.. ومن السماء صفاؤها..

قالت: ونفسي؟.

قلت: من النهار ضياؤها.. ومن الليالي غموضها.

قالت: وعيناي؟.

قلت: من أعماق البحر أسرارهما.. ومن الربيع لونهما الأخضر الفتان.

قالت: وشفتاي؟.

قلت: من العسل طعمهما.. ومن الخمر نشوتهما.

قالت: ونهداي؟.

قلت: من المرمر بياضهما.. ومن الجبال كبرياؤهما.

قالت: وهل تحبني؟.

قلت: أتسألين بعد كل هذا ؟.

ما أجملك يا حبيبتي:

ما أجملك يا حبيبتي.. ما أجملك..
عيناك حمامتان هادئتان تحت نقابك..
وشفتاك خيط قرمزي..
وفمك كوب سحري..
وخدك تحت نقابك شطر رمانة..
وعنقك برج داوود المشيد للسلاح..
إن حبك أشهى من الخمر.. وشذاك أطيب من كل عطر..
شفتاك تقطران العسل يا عروسي.. وتحت لسانك عسل ولبن..
أنت جنة معلقة يا عروسي.. أنت ينبوع مختوم..
أنت نافورة انبثق ماؤها على صورة فردوس..
غرس فيه رمان وتدلت منه العناقيد..
ورقصت الزهور والرياحين..
هبي يا ريح الشمال.. هبي يا ريح الجنوب..
أرسلي فوق جنتي أنفاسك ليفوح منها العبير..

[توفيق الحكيم]

آراء أصحاب الحرف في المرأة:

الرسام: إن لها مُحيا.. كمحيا الملائكة..
الكهربائي: إن نورها يسطع كنور الشمس..
البقال: إنها حلوة كالسكر..

الفاكهاني: إن خدها كالتفاح..

بائع العطور: إن أنفاسها كأريج البنفسج.

الصائغ: إنها دُرة لا مثيل لها..

الموسيقي: إن صوتها أطرب من وقع الأوتار..

الثري: إن جمالها كنز لا يفنى..

التاجر: إنها أحسن بضاعة أرسلتها السماء.

طبيب الأسنان: إنها تبتسم عن لؤلؤ..

الحلاق: إن لها شَعراً عظيماً..

العالم: إنها سفر الحكمة..

قال أحد الأدباء:

(أيتها المرأة.. إذا لم تستطيعي أن تكوني نجماً في السماء، فكوني شمعة في بيتك..).

* أيتها المرأة.. إني لا أحس بجمال وروعة الطبيعة إلا عندما تلمسين أزهارها بأناملك الجميلة. [بيتهوفن].

* أيتها المرأة.. اذكري أن جمالك حُرٌ طليق.. إلا من قيدين كلاهما أجمل منه: العفاف والشرف... [أحمد شوقي].

* أيتها المرأة.. أنت حلم ليلي.. وعذاب نهاري.. [الفرد دي موسيه].

* أيتها المرأة.. إذا صغر العالم.. فأنت تبقين كبيرة.. [فيكتور هوجو].

* المرأة مثل العشب الناعم، ينحني أمام النسيم، ولكنه لا ينكسر للعاصفة.. [هوكيلي].

* إذا كانت المرأة الجميلة جوهرة، فالمرأة الفاضلة كنز.. [سعدي الشيرازي].

* لا تطلب الفتاة من الدنيا إلا زوجاً، فإذا جاء طلبت منه كل شيء.. [شكسبير].

* أمنع الحصون المرأة الصالحة.. [نابليون].

* لا شيء يرفع قدر المرأة كالعفة.. [أديسون].

* المرأة ظل الرجل، عليها أن تتبعه لا أن تقوده.. [برنارد شو].

* لا توجد جوهرة في العالم أكثر قيمة من امرأة تنزه نفسها عما يعاب.. [سرفانتس].

* مهما تكلم الرجل لا يستطيع أن يشرح الحب، ولكن المرأة إذا تفوهت بكلمة تذيب من الحب ما لا يسعه قلب الرجل.. [هولمز].

* المرأة المبتسمة كالغرفة الدافئة التي تستميل الإنسان حين يدخلها، فيشعر برفاهيتها حتى ينسى كونه غريباً.. [حكيم].

* سعادة الرجل في كلمة تخرج من بين شفتي المرأة.. [حكيم].

* ليس التوفيق في الزواج أن يجد المرء زوجة صالحة، بل أن يكون زوجاً صالحاً [جان جاك روسو].

* الزوجة الصالحة والصحة هما خير ثروة الرجل.. [مثل إنكليزي].

* ابتسامة المرأة الجملية تدفع الرجل لأن يعبر الجبال والمحيطات.. كذلك نظرة منها شزراء.. تجعله جامداً لا يتحرك.. [مارسيل داي].

* ابتسامة المرأة الجميلة.. شعاع من أشعة الشمس.. [فولتير].

* ابتسامة واحدة على شفتي حبيبتي تفتح لي أبواب الجنة.. [جوته].

* أجمل لحظة في حياة الرجل العاشق.. هي اللحظة التي تغطيه خلالها المرأة بخصلات شعرها.. حتى يحس لفحات أنفاسها.. [حكيم].

* أجمل امرأة.. هي التي ترتعد كلمات الحب على شفتيها.. [شوبان].

ويقول أبو القاسم الشابي:

عذبة أنت، كالطفولة، كالأحلام، كاللحن، كالصباح الجديد..

كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء، كالوردة كابتسام الوليد..

يا لها من طهارة، تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد..

أنتِ، أنت الحياة في قدسها السامي، وفي سحرها الشجي الفريد..

أنتِ، أنت الحياة فيك، وفي عينيك آيات سحرها الممدود..

أنتِ، دنيا من الأناشيد والأحلام، والسحر والخيال المريد..

أنتِ، فوق الخيال والشعر والفن، وفوق النهى، وفوق الحدود..

يا بنة النور، إنني أنا وحدي من رأى فيك آية المعبود..

فدعيني أعيش في ظلك العذب، وفي قرب حسنك المعمود..

ويقول إيليا أبو ماضي:

اسألوها، أو فاسألوا مضناها

أيّ شيء قالت له عيناها

فهو من نشوة وما ذاق خمراً

نشوة الحب هذه إياها

ذاهل الطرف شارد الفكر، لا يلمح

حسناً في الأرض إلا رآها

الســـواقي لكي تحـــدّث عنهـــا
والأقـــاحي لكي تذيع شـــذاها
وحـفـيف النسـيم في مـسـمع الأو
راق نجـوى تبـثـهـا شـفـتـاهـا
يحـسب الفـجـر قـبـسـة من سناها
ونجـوم السـمـاء بعض حُـلاها
كل نفس لم يشـرق الحب فـيـهـا
هي نفس لم تدر مـا مـعـنـاها

* لولا ابتسامة ا لمرأة.. لفقدت الدنيا بهجتها..

* لولا المرأة.. ما تعب قلب.. وما شقي قلم..

* للرجل في الحب سطر.. وللمرأة صفحات..

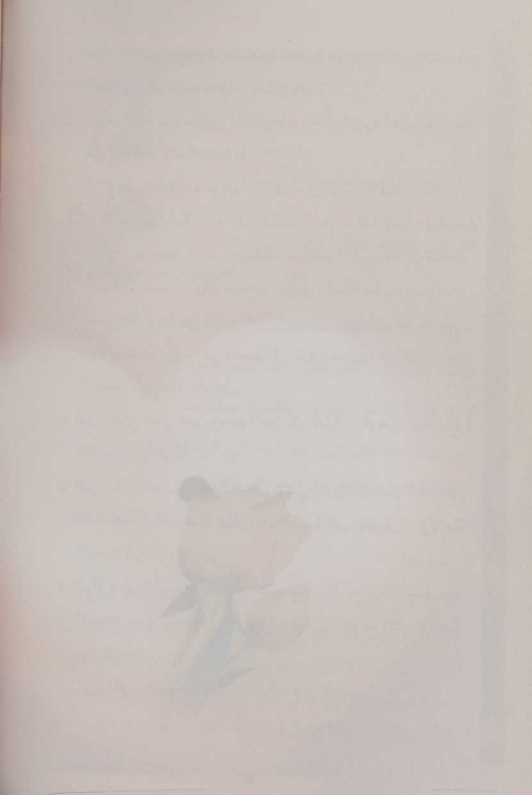
* ليست لغة قلب المرأة بحاجة إلى الألفاظ لكي نفهمها.. فإنما هي مكتوبة على صفحات العيون..

* ما أجمل عيني المرأة.. عندما تبكي كلماتها.. وعندما تتكلم عبراتها..

* المرأة هي الأفق الذي تشرق منه شمس السعادة على هذا الكون فتنير ظلمته.. والبريد الذي يحمل على يده نعمة الخالق إلى المخلوق.. والهواء المتردد.. الذي يهب الإنسان حياته وقوته.. والمعراج الذي تصعد عليه النفوس من الملأ الأدنى إلى الملأ الأعلى.. [طرائف النساء، ص: ١٠٤].

* المرأة كالمدن.. إذا عرفت كيف تطرق بابها.. استوليت على قلبها وروحها وجسدها.. [ماري لويز].
* المرأة.. كوكب يستنير به الرجل.. ومن غيرها يبيت الرجل في الظلام. [شكسبير].
* المرأة والبندقية.. متشابهتان. لا يمكن للمرء العبث بهما..
* المرأة جنس لطيف.. وديعة النفس.. لينة الجانب.. لطيفة المزاج.. سريعة التأثر. رقيقة العواطف.. يسرها أن تنجذب إليها الأبصار.. وأن يعجب الرجل بجمالها.. ويسرها أن تسمع بأذنيها من يمدح هذا الجمال.. ويصف محاسنها.. كما يسرها ويؤثر في نفسها أن ترى بعينيها قوة تأثير هذا الحسن في نفس الرجل..
* المرأة التي تغار على زوجها من كل امرأة.. توحي إليه بأنها أقل من أي امرأة..
* المرأة هي السر الغامض الذي لم يتوصل العلم إلى اكتشافه.. ولم تصل عقول الفلاسفة إلى اختباره.. ولا دقة البحث إلى معرفة كنهه..
* المرأة مثل اللوحة الفنية النفيسة.. لا يمكن أن يفهمها الجاهل.. أو يقدرها.. أو يعرف قيمتها.. وما أكثر الجهلاء بين الرجال..
* المرأة لغز.. مفتاحه كلمة واحدة.. هي الحب..

[راجع كتاب طرائف النساء]





صفات المرأة المسلمة

يا عذارى الإيمان والطهر يا
زينة الدنيا ويا بهاء الوجود

يا ثمار القلوب يا خير زهر
يتجلى مع الربيع الجديد

صانكن الإله من ظلمة الفك
ـر ومن ضلة اللئيم الحقود

يا فتاة الإيمان يا خير كنز
في حياة أنت كدر نضيد

أنت أنت العفاف في ثوبه السامـ
ـي وفي نهجه النقي الفريد

أنت من نرتجي لجيل أبي
يتربى في ظلك الممدود

لا تغرنك دعوة من ذئاب
همها الفتك بالفتاة الخرود

إنما العز في حجاب عفيف
والتزام بنهجك المحمود

هذه همســـة من القلب تسـري
في هواكم أودعتـها في قصيـدي
هذه باقـــة من الزهر نشـوى
في مقام حلو السجايا سعيد

المتأمل لما ورد في النصوص القرآنية العظيمة، والأحاديث النبوية الشريفة، يجد أنها تزخر بأجمل الصفات، وأبدع السمات، وأروع الأخلاق للمرأة المسلمة، وأنها قد رسمت الصورة المثلى لها، والطريق الأزكى، والسبيل الأنقى والأتقى والأرقى، وهذه بعض سمات المرأة المسلمة وصفاتها، ذكرها مفصلة الدكتور محمد الهاشمي في كتابه القيم (شخصية المرأة المسلمة) أثابه الله عليه، وهي مستوحاة من نور الإسلام وهدايته، ولكل منها دليله ومثاله من شريعة العز والسمو والرفعة، ولا شك أن أغلب هذه الصفات يشاركها فيها الرجل، فهما مشتركان في أغلب تكاليف الإيمان.

(المرأة المسلمة ليست مجرد قعيدة بيت، وحاضنة أطفال، ومدبرة منزل فحسب، وإنما هي بالإضافة إلى هذا كله؛ مربية أجيال، وصانعة أبطال، ورائدة دعوة، وعنصر وعي ونهضة وبناء في شتى شؤون الحياة، تقف إلى جانب الرجل في إعمار الكون، وإثراء الحياة، وإسعاد الوجود، وترطيب جفاف العيش.

المرأة المسلمة التي استنارت بهدي دينها؛ امرأة راقية مهذبة واعية نابهة منتجة بناءة طاهرة سامية، تعرف عن وعي

وبصيرة وإدراك واجباتها نحو ربها، ونحو نفسها، ونحو والديها، ونحو زوجها وأولادها، ونحو أقربائها وذوي رحمها، ونحو جيرانها، ونحو أخواتها وصديقاتها، ونحو مجتمعها كله، بكل ما يضطرب فيه من أناس وأحداث ومعاملات.

فهي مؤمنة بالله واليوم الآخر، متيقظة متنبهة لفتن الدنيا وأحابيل الشيطان، عابدة ربها، مطيعة أمره، مجتنبة نهيه، راضية بقضائه وقدره، أوّابة إلى حمى ربها، مستغفرة إياه، إن زلت بها القدم، أو غشيتها غاشية من غفلة أو تراخ أو تقصير. تشعر بمسؤوليتها أمام ربها عن أفراد أسرتها، حريصة على مرضاة الله عز وجل في أي عمل تقوم به، متمثلة معنى العبودية لله والنصرة لدينه الحق، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في حدود استطاعتها وإمكاناتها.

وهي واعية واجبها نحو نفسها، مدركة أنها إنسان مكوّن من جسم وعقل وروح، وأن للجسم مكوناته ومتطلباته، وأن للعقل وللروح كذلك مكوناتهما ومتطلباتهما، ولذا فهي تحرص على التوازن المحكم بين جسمها وعقلها وروحها، فلا تنصرف على العناية بجانب من هذه الجوانب على حساب الجانب الآخر، بل تُعنى بكل جانب من هذه الجوانب العناية المطلوبة لتحقيق الشخصية الإنسانية المتوازنة، مستهدية في ذلك كله بهدي دينها الحكيم، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح السائر على خطا الرسول الكريم ﷺ بإحسان.

إنها لتُعنى بمظهرها من غير إسراف ولا مبالغة ولا مخيلة ولا شطط، وتُعنى بمخبرها العناية اللائقة بالإنسان الذي كرّمه الله، وأسجد له ملائكته، وسّخر له ما في السموات والأرض، بحيث تبدو شخصيتها متزنة معتدلة محببة مستحسنة، في شكلها وهيئتها، وفي عقلها وتفكيرها وسلوكها وتصرفاتها وردود أفعالها.

ولا تصرفها عنايتها بجسمها وعقلها عن التفكير في شؤونها الروحية، بل تقبل على التربية الروحية إقبالها على التربية الجسمية والعقلية، فتصقل روحها بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن، وملاك أمرها في ذلك كله التوازن المحكم الدقيق في جوانب شخصيتها جميعاً.

وهي برّة بوالديها، عارفة قدرهما، وما يجب عليها نحوهما، شديدة الحساسية والخوف من عقوقهما، لا تدخر وسعاً في اختيار أمثل الطرق وأرقى الأساليب في الإحسان إليهما، وإحاطتهما بكل ضروب الرعاية والتكريم والإجلال.

وهي مع زوجها مثال الزوجة العاقلة الحصيفة البارة المطيعة المتسامحة الودود، الحريصة على رضاه، وعلى احترام أهله وإكرامهم، تكتم سره، وتعينه على البر والتقوى والعمل الصالح، وتملأ نفسه، وتشعره بالسعادة والسكن والطمأنينة.

وهي مع أولادها الأم الحانية الرؤوم، الواعية الحكيمة المدركة ضخامة رسالتها التربوية، المقدرة مسؤولية الأمومة،

وهي إذ تشعرهم بحبها وحنانها ورحمتها، لا تضن عليهم بالتوجيه السديد، ولا تُغفل تقويمهم إن احتاجوا إلى شيء من التقويم، لينشؤوا النشأة الإسلامية المثلى التي تزرع في نفوسهم مكارم الأخلاق، وتغرس فيها حب المعالي من الأمور.

وهي مع كنائنها وأصهارها برة عادلة حكيمة ناصحة، لا تتدخل في الخصوصيات، تحسن التصرف، وتعمل على توثيق عرا الود، ونزع غائلة الشر والخصومات.

وهي مع أقربائها وذوي رحمها واصلةٌ حبل الود، لا تغفل عن صلتهم والإحسان إليهم، وتحرص على دوام تلك الصلة وإن لم يصلوها، عملاً بهدي الإسلام الحنيف في توطيد أواصر القربى، وتفجير ينابيع المحبة والوداد.

وهي محسنة إلى جيرانها، مهتمة بأمرهم، تعرف حقهم الكبير الذي أصّله جبريل الروح الأمين لرسول الله ﷺ، حتى ظن الرسول الكريم أنه سيورثهم. ولذا فهي تحب لهم ما تحب لنفسها، وتحسن معاملتهم، وتراعي مشاعرهم، وتتحمل أذاهم، وتتغاضى عن هفواتهم وأخطائهم، وتتحرز من الإساءة إليهم، أو التقصير في حسن معاملتهم والإحسان إليهم.

وهي مع أخواتها وصديقاتها متميزة عن غيرها من النساء في بناء صلاتها وعلاقاتها بهن على أساس من الحب في الله، وهو الحب الأسمى والأطهر والأنقى في حياة البشر؛ لأنه

الحب المجرد عن كل منفعة، البريء من أي غرض، النقي من كل شائبة، المستمد صفاءه ونقاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهدي النبوة. ومن هنا كانت المرأة المسلمة في محبتها ومؤاخاتها لأخواتها صادقة مخلصة ناصحة متسامحة، حريصة على بقاء حبل الأخوة والود موصولاً بينها وبينهن، لا تقاطعهن، ولا تهجرهن، ولا تغتابهن، ولا تجرح مشاعرهن بلدد من الخصام والجدل والمشاحنة، ولا تحقد عليهن، ولا تمسك يدها عن معروف يمكن أن تسديه إليهن، وتلقاهن دوماً بوجه متهلل متألق طليق.

وهي في صِلاتها وعلاقاتها الاجتماعية امرأةٌ اجتماعية راقية من الطراز الأول بما لقنت من تعاليم دينها، وما استوعبت من أحكامه الغزيرة السمحة في فقه التعامل وسمو الصِلات ورفعة الأخلاق. فمن هذا النبع الثر الكبير تمتاح المرأة المسلمة أعرافها وعاداتها وسلوكياتها ومعاملاتها، ومن هذا المعين الصافي والمورد العذب تنهل القيم والأخلاق التي تزكي نفسها وتكوّن شخصيتها الاجتماعية المتميزة.

إنها حسنة الخلق، صادقة مستقيمة مع الناس جميعاً، لا تغش ولا تخدع ولا تغدر ولا تنافق ولا تشهد الزور، وهي ناصحة تدل على الخير، وتفي بالوعد، وهي متصفة بالحياء وعفة النفس، لا تتدخل فيما لا يعنيها، وتبتعد عن الخوض في الأعراض وتتبع العورات، بعيدة عن الرياء، عادلة في حكمها، لا

تظلم، تنصف من لا تحب، لا تشمت بأحد، تجتنب ظن السوء، تمسك لسانها عن الغيبة والنميمة، تجتنب السباب والكلام البذيء، لا تسخر من أحد. رفيقة بالناس، رحيمة، تعمل على نفع الناس ودفع الضر عنهم و تُنفس عن المعسرة، كريمة سخيّة لا تمن على من تعطيهم، حليمة، متسامحة، لا تحقد، ولا تضطغن، ميسرة غير معسرة، لا تحسد، بعيدة عن المباهاة وحب الظهور، تجتنب التنطع والتكلف، شخصيتها محببة للناس، آلفة مألوفة، تحفظ السر، طلقة الوجه، خفيفة الظل، تدخل السرور على القلوب، غير متزمتة، لا تتكبر، متواضعة، معتدلة في لباسها ومظهرها، تهتم بمعالي الأمور، تهتم بأمر المسلمين، تكرم الضيف، تؤثر على نفسها و تخضع عاداتها لمقاييس الإسلام، تلتزم بتحية الإسلام. لا تدخل غير بيتها إلا باستئذان، تجلس حيث ينتهي بها المجلس، لا تناجي امرأة ثانية إذا كن ثلاثاً، تجل الكبيرة وصاحبة الفضل، لا تحد نظرها في بيت غيرها، تختار العمل المناسب لأنوثتها، لا تتشبه بالرجال، تعدو إلى الحق، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، لبقة حكيمة في دعوتها، تعاشر النساء الصالحات، تسعى بالصلح بين المسلمات، تخالط النساء وتصبر على أذاهن، تقدر المعروف وتشكر عليه، تعود المرضى ولا تتبع الجنازة.

هذه هي شخصية المرأة المسلمة التي صاغها الإسلام بهديه الحكيم، وأضاء قلبها وبصيرتها بنوره اللألاء.

ولعمري إنها النموذج الأرقى لأي امرأة عرفتها المجتمعات البشرية؛ إذ جمعت إلى مكارم الأخلاق السالف ذكرها، رجاحة العقل، ونقاء النفس، وسمو الروح، وسلامة التصوّر للكون والحياة والإنسان، وعمق الوعي لرسالتها الخطيرة في الحياة.

ولا ريب أن الوصول بالمرأة إلى هذا المستوى الراقي من التكوين الخلقي والروحي والنفسي والفكري، نعمة إنسانية كبرى، لا تعدلها نعمة من النعم الكثيرة التي يتقلب في أعطافها البشر، وإنجاز حضاري أكبر من كل إنجاز توصلت إليه الإنسانية في عمرها الطويل؛ ذلك أن بلوغ المرأة ذلك المستوى العالي من التكوين، يعني نمو إنسانيتها، ونضج شخصيتها، وأهليتها الكاملة لأداء رسالتها الكبرى في الحياة.

إن ما نشهده اليوم من تخلف المرأة المسلمة عن المستوى العالي الذي أراده لها الإسلام في كثير من بقاع العالم الإسلامي، مردّه إلى بعد المسلمين عامة عن مناهل دينهم الصافية، وتيههم في مضارب الجاهلية أو التبعية الفكرية والنفسية لغيرهم. وما كان شيء من هذا ليكون في حياة المسلمين بعامة، والمرأة المسلمة بخاصة، لو سلمت للمسلمين مناهلهم الفكرية والروحية، وأقبل الرجال والنساء على العب منها، والتزوّد بزادها النقي الصافي الذي يكسبهم المناعة والأصالة والتميز.

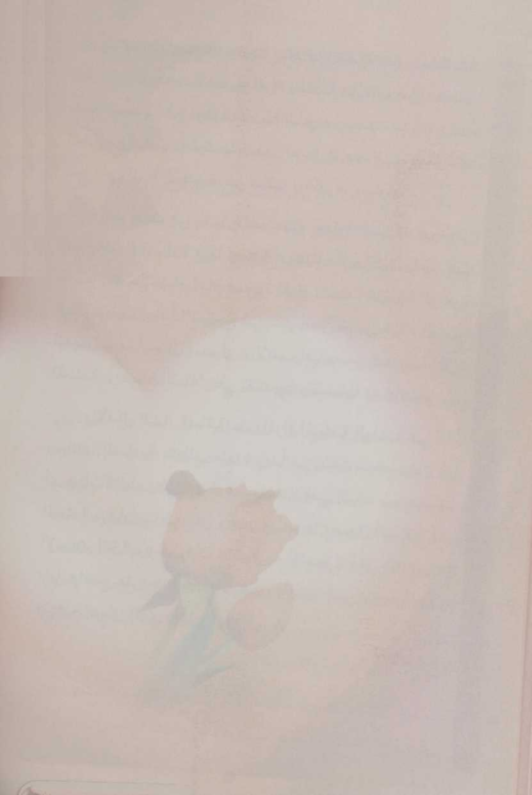
وإذا كانت الغارة على العالم الإسلامي قد استهدفت شخصية المسلم بعامة، سواء أكان رجلاً أم امرأة، لهزها

وزحزحتها عن أصالتها وتلويث مناهلها الفكرية، فإن مما لا شك فيه أنها استهدفت شخصية المرأة بخاصة في كثير من حملاتها، بغية تعريتها من ثوب الفضيلة الذي عرفت به عبر تاريخها الطويل، وإلباسها الثوب المستعار الضيق المزيف الذي يجعل منها صورة من المرأة الأجنبية، في شكلها وتفكيرها وسلوكها.

ولقد بُذلت في سبيل ذلك جهود جبارة، تبنّت الدعوة إلى تغريب المرأة المسلمة فيها جمعيات وهيئات وحركات، باءت كلها بحمد الله بالإخفاق أمام صحوة المرأة المسلمة المثقفة الواعية لهدي دينها، وبدأ التراجع في كثير من تصريحات أنصار التغريب من رجال ونساء، والاعتراف بعمق عقيدة المرأة المسلمة، وأصالة الإسلام في تفكيرها ونفسيتها ومشاعرها.

والآمال الكبار المعلقة على المرأة المسلمة الواعية في أداء رسالتها السامية، تتطلب منها مزيداً من إثبات شخصيتها، في أي مكان كانت، وفي أي ظرف عاشت؛ ففي إثبات شخصيتها المسلمة برهان ساطع على وعيها وسموها وصدق انتمائها إلى الإسلام الخالد وحضارته الإنسانية المتميزة، وفي ذلك أيضاً دليل واضح على جدارتها بالنهوض بأمتها التي تنتسب إليها، وترقية الوطن الذي تعيش فيه.







هذه تنبيهات عجلى، وإشارات خجلى، أبثها للعروسين الحبيبين في لحظات اللقاء، وليلة الصفاء:

١- عليكما بالدعاء الصادق من قلب خاشع بأن يبارك الله ليلتكما، ويديم محبتكما، وعلى كل منكما أن يسأل الله تعالى أن يبارك له في صاحبه، وأن يجعل دخوله عليه دخول خير وبركة وحب، وأن يرزقه محبته والشوق إليه وحسن عشرته.

٢- ألا تبدأ ليلتك بمعصية. هذه النعمة الكبرى، والفرحة الأسمى، يجب أن تقابل بالشكر، وتقدر بالعرفان، وللأسف قليل من الناس من يلتفت إلى هذا المعنى، فإن بعضهم في غمرة الفرح، وهيمنة النشوة، وإظهار البهجة، ومسايرة الواقع، وتقليد الناس، ومباهاة الآخرين، وحب التمدح؛ يطلق العنان للهوى والنفس والشيطان، خصوصاً إذا وجُد ضعف في الدين أو العقل أو الغيرة، فيقع في كثير من المعاصي، ويترع فرحه بأنواع من الذنوب، ويحيي ليلته بما يميت قلبه ويميتها، وينساق خلف الذين لا خلاق لهم. خير

الله إليه نازل، وشره إليه صاعد! الله يكرمه وينعم عليه ويتحبب إليه، وهو يلطخ جنبات الليل بما يغضب ربه ويسخط خالقه! ويترك الحبل على الغارب لكل أنواع الذنوب والمعاصي! فكيف يريد هذا البركة في ليلته وحليلته ومعيشته وذريته؟! ما من إنسان إلا وله ذنوبه، وله أخطاؤه، ولكن ليلة كهذه يجب أن يسلك الإنسان كل سبيل، ويطرق كل باب، ويبذل كل سبب، ليبارك له فيها، وتعزف له أمانيها. إن حقيقة إيمان الإنسان والتزامه بربه تظهر أكثر ما تظهر في مواطن الفرح الكبير، أو الترح الخطير، فمن أمسك بزمام النفس، وكبح جماح الروح، ومضى على ما يحب ربه، فقد فاز والله بخيري الدنيا والآخرة.

٣- وعلى الرجل أن يأخذ بناصية زوجته ويدعو بالبركة. جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إني تزوجت جارية بكراً، وأخشى أن تفركني -أي تكرهني-، فقال: إن الإلف من الله والفرك من الشيطان، ليُكرّه ما أحل الله له. فإذا دخلت عليها فمُرْها فلتصل خلفك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهم ارزقهم مني وارزقني منهم، اللهم اجمع بيننا ما جمعت إلى خير». [أخرجه الطبراني (٩/٢٠٤) وصححه الألباني في آداب الزفاف: ٩٦] ،وعلى المسلم إذا أراد جماع زوجته ألا ينسى هذا الحديث الذي يقول فيه ﷺ: «**بسم الله، اللهم جنبنا**

الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر أن يكون بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً» [رواه البخاري: ١٤١].

٤ - تحصين النفس، فيجب على كل من العروسين أن يقرءا على نفسيهما المعوذات وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والأدعية الشرعية المعروفة التي يرقي بها المسلم نفسه، ويتحرز بها من العين والحسد؛ فإن العين حق، وكثير من المتزوجين يخرج الرجل في كامل زينته أو المرأة في أبهى حللها، فتنطلق إليهما بعض سهام الأعين التي قد يكون منها ما هو قاتل، ولكن بالاعتصام بالله وقراءة الأوراد يحفظ الله عباده.

٥- هدوء الأعصاب، وطمأنينة النفس، والبعد عن التشنج والتوتر والقلق والتخوف، فهي ليلة يجب أن تكون هائمة بالحب، مفعمة بالشوق، مترعة بالمتعة. إنها لحظات يتم أعظم وأقوى وألذ وأجمل وأمتع اتصال بين اثنين؛ اتصال لا يمكن للغات الدنيا كلها بكلماتها وألفاظها وجملها وتشبيهاتها وصورها واستعارتها أن تصف حقيقته، أو تشرح مفرداته، ويجب أن يبدأ هذا اللقاء المقدس أحسن بداية، فهو تسلل إلى القلب، وانسكاب في الروح، وامتزاج بالمشاعر، أما من يبدأ ليلته وكأنما هو في ميدان حرب، أو ساحة معركة، أو حلبة مصارعة، فتلك ليلة تعيسة. ولا شك أن هنالك بعض الثقافات الموروثة، والتقاليد البالية، كانت ترسخ في الأذهان إلى زمن قريب؛ أن تلك الليلة هي ليلة

العراك والمصارعة واقتحام الحصون المغلقة، فيُحرّض الزوج على الشجاعة والرجولة، والأخذ بيد من حديد، وتُحرّض المرأة على الدفاع والمناضلة إلى آخر قطرة من دمها، وكانت العبارات السائدة: (انتبه.. خليك رجال، كسر راسها) وللمرأة: (جنّنيه، قاوميه. لا تكوني سهله. «وشنق ليلة شنق ليله، الله يعينك على ها الليله».. إلخ). ولكن الأمور بحمد الله تغيرت، والنفوس تسامت، والثقافة سادت لدى الرجال والنساء، ويا أسفا على الأجيال الماضية الذين أكلوا علقات ساخنة.. فكانت ليلة العمر أحرّ من الجمر.

٦- ألا يجعل الرجل كل همه، وغاية بغيته في الجنس منذ اللحظات الأولى، بل عليه أن يبدأ بملء قلب عروسه بكلام الحب، وعبارات الغرام، وحسن المداعبة، وجميل الملاطفة، وألا يتعامل مع زوجته بالعنف والشدة والقوة، أو يظن أن ذلك من مقومات العريس النابه البطل. وإنه ليس شرطاً أن يتم كل شيء في أول ليلة؛ لأن ذلك أيضاً من الثقافات الخاطئة التي لا تزال في بعض البلدان لدرجة أن يكون الأهل من الطرفين ساهرين ينتظرون الدم الأحمر على المناديل البيض إثباتاً للرجولة من جهة، وللشرف من جهة أخرى!! إنني أرى أنه من الأفضل أن تؤجل المعاشرة الجنسية إلى ليلة أو ليلتين أو أكثر بحسب ما يحتاج إليه الأمر، وتتطلبه نفسية الفتاة، وسوف يكون ذلك ألذ وأمتع وأروع، فإن كان ولا بد فالرفق الرفق، والسكينة السكينة، فإن

المُنْبَتَّ [المسرع] لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، وربنا يعينكم.

٧- أن يُشعر كلٌّ الآخر بحبه وإقدامه وأهميته بالنسبة إليه، ويتفنن في كسب قلبه، واستمالة روحه، وجذب مشاعره، ولفت انتباهه.

يا عطر عمري وأنغامي وأنفاسي
يا منبع الدر يا أغلى من الماس
ما زلت أحبوك من حبي وعاطفتي
حتى اكتوى بلظاها قلبك القاسي
فعاد نبعاً زلالاً طاب مورده
ينفي عن الروح معنى الهم والباس
وحين أشكو لهيب الحب في كبدي
فهكذا يشتكي المعلول للآسي
قطفت من ثمرات العشق أينعها
من كل غصن ندي النور مياس
يا رائق الطبع يا حلو الصفات ويا
أرق من أبصرت عيناي في الناس
يا لذة في فؤادي بات سلسلها
يسقي عروق الهوى في القلب والراس
يا نفحة من رحيق الود عابقة
يا روعة الماء للظمآن في الكاس
إذا تفرقت الأجساد يا قمري
فإن عطرك مبثوث بإحساسي

٨- أن يقدم بين يدي ليلته هدية معبرة، ولو لم تكن إلا زهرة فواحة، أو باقة خلابة، وحبذا لو نقش معها بعض كلمات الغرام، أو أبيات الغزل، أو همسات الهوى.

٩- أن يبدأ بفهم نفسية عروسه، وهي كذلك، أن يفهم محبوباتها وميولاتها ورغباتها، وماذا يسعدها، وماذا يكدرها، ويزرع لها الأمل المشرق، ويستل من فؤادها المخاوف والمتاعب، ويبدي موافقته لها فيما تحب، وهي كذلك.

١٠- إضفاء المرح والفرح والمؤانسة على اللقاء في تلك الليلة، فأنتما في قاعة حب وليلة مرح، وسهرة مؤانسة، ولقاء مسرات، فحبذا لو آنستها بكلام جميل أو نشيد ناعم، أو أغنية هائمة، وكذلك العروس؛ عليها أن تظهر ابتهاجها، وتطلق للفرحة عنانها، فتلاعب زوجها، وتتدلل له بهمسها وغمزها ورقصها وميسها وغنائها وحدائها.

١١- ألا يكون الزفاف في وقت غير مناسب، فهنالك مسألة خفية قد لا يهتم بها بعض الناس، واللوم في ذلك يقع على الفتاة أو والدتها، فإن بعضهم يحددون موعد الزواج بحسب ما يتفق لهم، والأولى أن يكون للبنت رأي في ذلك، فمن أصعب الأمور أن يكون موعد زفاف الفتاة في وقت الطمث بل قد تكون في يومها الأول، وذلك يكدر صفو الفرحة، ليس فقط للنواحي الجنسية، ولكن كثيراً من الفتيات تسبب لهن العادة الشهرية آلاماً جسدية ونفسية كبيرة، وتشنجات متعددة، لذلك يجب مراعاة هذه المسألة.

يا حبايب غنوا غنوا ربنا يتمم بخير

يا قرايب هنو هنو فرحنا الليله كبير

كل الناس اتقول عنّو مرّه ما في له نظير

يا مصلين صلوا على النبي

يا مصلين صلوا على النبي

ويا مشاعر تغني واطربي

ألف مبروك يا سيد الرجال

للمودة وساعات الوصال

ربنا ساق لك بنت الحلال

والحبيبه الأديبه والجمال

دين واخلاق واشواق ودلال

يا مصلين صلوا على النبي

يا مصلين صلوا على النبي

ويا مشاعر تغني واطربي

يا عـــروسين بوصـــيكم وصـــيــه

مـن فـــــؤادي لـكـم أغـلـى هـديـه

اذكـــروا مـن حــــبــاكـم بـالـعـطيـــه

واشـكـروا نـعــمـــتـــه رب الـبـــريـه

واتـبــعـــوا سـنـة الـهـــادي نـبـيـــه

وألـف مـلـيـــون مـــبـــروك وتـحـــيـــه

يــا مـــــصـلـين صـلـوا عـلـى الـنـبـي

يــا مـــــصـلـين صـلـوا عـلـى الـنـبـي

ويــا مــــشـــاعـــر تـغـنـي واطـربـي

الـلـه الـلـه الـلـه الـلـه الـلـه الـلـه

نـحـــمـــدك يــا ذا الـجـــلال

نـشـكـرك فـي كـل حــــال

مـــا لأفـــضـــالك مــثـــال

ويـعـــجـــبك مـنـا الـســؤال

واحـنـا نـســأل واحـنـا نـدعـو واحـنـا نـرجـو

في كل لحظه وكل حين

يا إله العالمين.. يا حبيب التائبين.. يا مجيب السائلين

نسألك برد اليقين.. واتباع المتقين.. واعف عنا يا معين

وصل يا رب وسلم على إمام المرسلين







وعـــروسنا أحلى العـــرايس
من مـــثلهـــا ذات الجـــمـــال
فـــتـــانة والقـــد مـــايس
الـــلـــه عـــلـــى ذاك الـــدلال
وهذا حـــبـــيب القلب جـــالس
هـايم بســـاعـــات الوصـــال
أشـــرقت يا بو طرف ناعس
يـا مـــــــورد الحـب الـزلال

روى عبد الملك بن عمير القرشي، وهو من رجال القرن الثاني الهجري، وكان من أهل المعرفة والعلم، عن أمامة بنت الحارث، وهي من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل. فقد روى وصيتها لابنتها وهي على أبواب الزواج، بهذه الصيغة الرائعة، الجديرة بأن تكتب بمداد من ذهب.

قال: لما زوّج عوفُ بن محلم الشيباني - وكان سيداً مطاعاً من أشراف العرب في الجاهلية - ابنتَه أم إياس من الحارث

بن عمرو الكندي، فجُهزت وحُضّرت لتُحمل إليه، دخلت عليها أُمها أُمامة لتوصيها، فقالت:

يا بُنيّة! إن الوصية لو تُركت لفضل من الأدب، أو مكرمة في الحسب، لتُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعقل.

أي بُنيّة! لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها وشدّة حاجتها إليه، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خُلقن للرجال، كما لهن خُلق الرجال.

أي بُنيّة! إنك قد فارقت الجو الذي منه خرجت، والعُش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكاً، فكوني له أمةً يكن لك عبداً.

احملي عني خصالاً عشراً تكن لك ذخراً وذكراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة؛ فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن السمع والطاعة رضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع أنفه، والتعهد لموضع عينه، فلا تقع عينُه على شيء قبيح، ولا يشمُّ أنفه منك إلا أطيب ريح. وإن الكحل أحسنُ الحسن الموجود، والماء أطيبُ الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإرعاء على حشمه وعياله، والاحتفاظ بماله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي يا بنيّة الفرح لديه إذا كان تَرِحاً، والاكتئاب إذا كان فَرِحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة.

واعلمي يا بنية أنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخيرُ لك ويحفظك.

ثم حُملت هذه العروس إلى زوجها، فعظم موقعها عنده، وولدت له الملوك الذين ملكوا بعده.

وواضح أن هذه الوصية جامعة شاملة لكل ما يخطر على البال، مما تحتاج إليه الفتاة في حياتها الزوجية من مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وذكاء التصرف والتعامل، ومن هنا صلحت أن تكون دستوراً لكل فتاة مقبلة على الزواج.

ولكن مع ذلك سأذكر هنا بعض الوصايا المتعلقة بالمرأة إضافة لما سبق:

١ - الأخلاق العالية:

سألتني إحداهن مرة قائلة: أريدك أن تخبرني بإيجاز ما أحب الصفات التي يريدها الرجل في المرأة، فقلت لها: سأوجز لك الإجابة في ثلاث كلمات هي أروع ما في المرأة: حياتها، وذكائها، ووفائها.

إن المرأة عنوان الأدب ونبراس الحشمة، وبستان العاطفة، ومورد الرحمة، وفيوض الرومانسية، لذلك يجب عليها ألا تغفل هذه الجوانب المهمة في حياتها فتتخلق بأكمل الأخلاق وأحسنها، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؛ الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى**». [أخرجه الطبراني (١٩/١٤٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع].

ويقول ﷺ: «**خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**». [أخرجه الطبراني (١/٦٩) وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٣٨)].

٢ - الذوق الرفيع:

المرأة ريحانة الحياة، وأريج الدنيا، وبهجة العمر، وآية الجمال، ولذلك فإن عليها أن تنمي قدراتها الفنية والذوقية،

فتعرف كيف تلفت نظر زوجها، وتتربع على قلبه بفنها وذوقها في ملبسها، في بيتها، فتجعل منه جنة وارفة، وبستاناً جميلاً، تظهر فيه الأناقة، وترتسم على جدرانه الروعة.

الإنسان بطبعه ملول، يملّ حتى النعيم إذا طال، ولذلك فإن بني إسرائيل ملُّوا وتضجروا من الطعام الذي ساقه الله إليهم، مع أنه من ألذ الأطعمة، فقالوا: ﴿**يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾، وهكذا الملل في الإنسان، ولذلك من حكمته تعالى أن جعل كل شيء في هذا الكون متجدداً متنوعاً؛ من ليل ونهار، وشمس وقمر، ونجوم وكواكب، وحر وبرد، وصيف وشتاء، ومطر وصحو، وجبال ووهاد، وبحار وأنهار، وأشجار وثمار، بل تجد بعض النباتات كالورد يتنوع في شكله ورائحته إلى مئات الأنواع، وهكذا التجديد حتى في تكاليف الدين وأنواع العبادات، حتى لا يكون هناك رتابة أو ملل.

ولكن العجب أن تجد بعض البيوت يخيم عليها الملل، وتسكنها الرتابة، فتجد الزوجة قد أصبحت مبرمجة على شكل معين، ولباس محدد، وطبخة مرددة، وأسلوب ممل. إن الواجب على المرأة أن تتفنن وأن تتجدد وتجدد في لباسها، فإن بعضهن عليها قميص واحد منذ الحر ب العالمية الأولى، وغرفة نومها تذكرك بالمقبرة المهجورة، ونوعية الطبخ اشتكت منها القدور، وضاقت بها الصدور، وشرقت النحور، والمكياج واحد، وقصة الشعر واحدة، بل وربما العبارات والكلمات نفسها، حتى لقد

حفظها الزوج كما حفظ أهل القرى خطبة الإمام العثمانية التي كانت مفروضة في يوم الجمعة. ثم تسأل بعد ذلك: لماذا يملها زوجها؟ ولماذا يجفوها؟ ولماذا يبحث عن غيرها؟.

٣ - عدم الانشغال:

مهما يكن الأمر في أكثر الرجال ففيهم الأنانية، وحب الذات، ولذلك على المرأة أن تحرص قدر الإمكان على الاهتمام بالزوج، وعدم الانشغال عنه بالأمور الأخرى - مع أهميتها - كالتربية، وخدمة الأبناء ومطالب المنزل، أو أعباء الوظيفة إن وجدت، فعليها ألا تجعل من كل تلك الأمور مشغلاً لها عن الاهتمام بالزوج، وخصوصاً النواحي العاطفية والجنسية، فإن الرجل أخطر ما يكون إذا لم تلبِ رغباته الجنسية، وأشق ما عليه إذا رأى انصراف الزوجة عنه، ولو كانت في أهم الأمور.

٤ - الذكاء:

من أهم ما تكسب به المرأة زوجها: ذكاؤها، وسرعة بديهتها، وخصوصاً فيما يتعلق بحياتها الزوجية، فتكون واعية لبيبة، حبيبة أريبة، تعرف شخصية زوجها، وتفهم رغباته من عينيه، وتحكم على نفسيته من تقاسيم وجهه، فتحسن التعامل مع كل موقف، ومع كل حالة، وعليها إذا ما حذر من أمر، أو نبه على خطأ، أن تجتهد ألا يتكرر مرة أخرى؛ لأن هنالك من ينبه على زوجته أكثر من خمسين مرة ومع ذلك يتكرر الخطأ، وتعاد المخالفة.

على المرأة أن تعرف متى يتطلع زوجها إلى عناقها، أو النوم في أحضانها، فتأتي في الوقت المناسب لتروي الظمأ، وتبرد الغلة، وتقاسمه الغرام، ولتحذر أن تمنعه نفسها إذا أرادها، وهكذا فإن المرأة كلما أحبت زوجها واهتمت به تستطيع أن تفهم شخصيته فتتعامل معه على أساسها، وتجعل ذلك شغلها الشاغل، فالزوج هو كل شيء في حياة المرأة.

يقول أحد الأزواج: (أعترف أن الأمور التي أسهمت في خلق أجواء التوتر والتباعد والملل بيننا تعود إلى عدم قدرة زوجتي على الاستفادة من أخطائها السابقة. الأخطاء التي كانت تمارسها كانت أشبه بأسطوانة متكررة، وأكثر من ذلك أنها لا تتمتع بسرعة البديهة التي تجعلها تفهم - على الطاير - كان إحساسها بليداً إلى درجة لم تعرف فيها متى أكون سعيداً أو حزيناً، ولم تميز يوماً ما يعجبني وما لا يعجبني. تمنيت يوماً أن تفهمني، ولكن دون جدوى، وهذا الأمر لا يتعلق فقط بضرورة معرفتها أي ثوب أحب أن ترتدي، أو أي عطر أفضل أن تضع، أو أي تسريحة يعجبني شكلها بها، بل إن الأمر يتعدى ذلك، فهي لم تستطع التقاط مزاجي أيضاً، وسوء تقديرها لحالاتي العاطفية والزوجية، ولد لدي شعوراً بارداً تجاهها. إنها تفتقد الذكاء الأنثوي الذي تتميز به المرأة، والذي يجعلها جذابة في نظر زوجها).

ويطرح هذا الزوج سؤالاً مهماً بقوله: (كيف تتحول مشاعر الزوج نحو الزوجة إن كانت هذه المرأة تفتقد الصفات الأساسية التي يجب أن تتمتع بها الزوجة من حنان وعاطفة وأنوثة؟).

إن المرأة التي تفتقد المشاعر الدافئة تحول البيت إلى مكان بارد، حتى يصبح هاجساً ثقيلاً على الرجل. فحنان الزوجة هو امتداد طبيعي لمشاعر الأمومة التي تبعث الدفء في قلب الرجل، ولذلك فإن فقدان المرأة للعاطفة يؤدي إلى تباعد الزوجين مع الوقت، وقطع العلاقة مع الأيام، وخاصة إذا كانت الزوجة تهتم بأمورها المنزلية أكثر من اهتمامها بزوجها.

وحول هذا الشيء يصف الزوج الأمر بقوله: (لم أتذكر يوماً أنها أمسكت يدي حناناً، أو قطعت صراخاً ببسمة مرحة كتعبير عن اعتذار، بل أنا الذي كنت دائماً من يبادر إلى تلطيف الأجواء بيننا.

بالإضافة إلى قساوتها في المعاملة، فإنه لا شيء يهمها سوى تنظيف البيت، وباتت العودة إلى المنزل أشبه بشبح لا يطاق. فأنا لا أذكر أنني عدت مرة من عملي إلا ووجدت زوجتي والمسحة في يدها و(المريول) على خصرها، قلت لها ألف مرة بأن الزوج يستسيغ الجلوس مع زوجته على سفرة الغداء، يتجاذبان أطراف الحديث بعيداً عن هموم الأولاد ومشكلات البيت. لكنها دائماً إما مشغولة بتنظيف الأولاد أو بتنظيف البيت. وهي بذلك لم تكن تقيم وزناً للحياة الزوجية

لأن شغلها الشاغل الغسيل والصراخ على الأولاد وعلى الزوج السلام).

وخلص هذا الزوج إلى نتيجة قائلاً: (إن هروب الرجل من المرأة وأسباب بحثه عن سبل للخلاص منها، يعود إلى عدم قيامها بوظيفتها الطبيعية في الحياة. فالرجل لا ينتظر من زوجته أن تبني له بيتاً، ولا أن تقوم بما هو غير مطلوب منها وإنما هو بحاجة إلى عاطفتها قبل أي شيء، والمشكلة أنني شعرت بنقص كبير في حياتي العاطفية معها، ولا سيما أنني نشأت وتربيت في عائلة ترعاها أم حنون وأب هادئ وعاطفي أيضاً، ولذلك فإن حياتي معها كادت أن تؤدي إلى اختلال توازن مشاعري، وبات المنزل بالنسبة إليّ وكأنه أشبه بصحراء لا مطر فيها).

٥ - القناعة:

القناعة كنز لا يفنى، إنها راحة بال، وهدوء نفس، وسعادة روح، وهدوء أعصاب، وأزهار رضا، وعلى المسلم أن يكون قنوعاً مؤمناً راضياً بما قسمه الله له من الحياة.

وإن بعض الأزواج قد تكون أحواله المادية عادية، أو متدنية، فلا يستطيع أن يؤمن بعض كماليات الحياة، فعلى الزوجة التي رضيت بزوجها، ووافقت على شراكته، وأمست في عصمته أن تكيف نفسها على ظروف زوجها وظروفها، فلا يكن

كل همها مجاراة الواقع، ومحاكاة الناس، وتقليد الآخرين، ومنافسة المتنافسين، فإنها إذا رضيت بمعيشتها، وحاولت أن تسعد نفسها، وتسعد زوجها، وفق ما آتاهما الله من قدرات، فتلك هي الزوجة المثالية الموفقة، يقول ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه**» [أخرجه مسلم: ١٠٥٤]، ولكن بعض النساء تظل تلح على زوجها، وتندب حظها، وتكثر طلباتها، وتثقل كاهله بالديون، وتحمله الأعباء، فينعكس ذلك على حياتهما التي تظل تسوء وتسوء إلى أن تنتهي نهاية مزرية، وبدلاً من بعض الشيء يخسران كل شيء، ومن يتق الله يجعل له مخرجا.

٦ - ألا تكون نكدية:

المرأة التي يكثر خصامها، وتتعدد مشكلاتها، وتتزايد طلباتها، وتتنوع خصوماتها، وتتابع شكوكها؛ هي امرأة نكدية، تجعل الزوج يهرب من بيته، ويأنس بغيابه.

وإن إغضاب الزوج واستثارة سخطه، لهو سبب في غضب الله تعالى على المرأة، فهو جنتها ونارها، وطاعته من طاعة ربها، وهو أحق الناس بصحبتها وحُبها وبرّها.

وإن من نكد الزوجة كثرة التشكي، والسخط، والتذمر من العيش، والضيق بالحياة ،وعدم الرضا بما قدر الله لها. ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام حينما زار ابنه إسماعيل عليه السلام فوجد زوجته،

فسألها عن حالهم، فتذمرت وتشكت، وقالت: نحن في شر حال. فأمر ابنه أن يفارقها، فلما زاره في المرة الأخرى وجد زوجته فسأل عن حالها وحال زوجها، فقالت: نحن بخير حال، أمر ابنه أن يحافظ عليها وأن يثبتها في حياته.

يقول أحد الفلاسفة: (إن سعادة الرجل في الزواج تتوقف على مزاج زوجته أكثر من أي شيء آخر، وقد تتمتع الزوجة بفضائل أخرى واضحة، ولكن هذه الفضائل كلها تصبح لا قيمة لها إذا كانت الزوجة سيئة الطباع، حادة المزاج، محبة للنكد والشجار، وكثيرون هم الأزواج الذي تبدد طاقة جهدهم، ويتخلون عن الاستمرار في الكفاح من أجل النجاح؛ لأن زوجاتهم بددن آمالهم، وقتلن طموحهم بالنقد المستمر، والإلحاح على الانتقاص منهم، وإشعارهم بالعجز عن الإنفاق عليهن، ومقارنتهم دائماً بمن هم أعلى دخلاً وأوفر رزقاً، وأكثر مالاً من الأقارب والزملاء والجيران. إن التعاسة الزوجية من النكد تعادل التعاسة الزوجية التي يسببها السفه وقلة الخبرة بأعمال البيت والخيانة الزوجية معاً).

وأجرى الدكتور لويس تيرمان دراسة على أكثر من (١٥٠٠) زواج كانت نتيجتها أن النكد الذي تصنعه الزوجة هو أكبر العوامل التي تقوض صرح السعادة الزوجية.

وأكد معهد (جالوب) بالولايات المتحدة الأمريكية النتيجة نفسها حين استفتى عدداً كبيراً من الأزواج في أسوأ صفة

تتصف بها الزوجة، فأجمعوا على أنها: اصطناع النكد المتمثل في السعي إلى السيطرة على الأزواج بالبحث عن أخطائهم، والشجار المستمر معهم، واستنزاف طاقتهم عن طريق اختلاق أسباب النزاع حتى يسلموا ويرفعوا الراية البيضاء).

٧ - إظهار الإعجاب:

على المرأة أن تبدي إعجابها بزوجها، وافتخارها به، ومكانته في نفسها، وأنه لا يوازيه في نظرها أحد، ولا يساوي منزلته في قلبها بشر، فإن المرأة كما تحب من زوجها أن يمدحها، وأن يحبها، كذلك الزوج يعجبه أن يرى زوجته فخورة به، معجبة بشخصيته، أياً كان وضعه الاجتماعي أو حالته المادية أو شكله أو صورته، طالما أنه مقدر لمكانتها، محترم لها، قائم بحقوقها.

٨ - ألا تضيع حق زوجها بحجة الطاعة:

فهنالك من النساء من تظن أن الإكثار من عبادة الله تعالى - ولو على حساب زوجها أو أهلها - قد يزيدها قرباً من الله سبحانه، وهذا ظن يجدر بكل امرأة متفهمة أن تتنزه عنه؛ لأن الذي أمرها بعبادة الله هو ذاته الذي أمرها بأداء حق الزوج، وذلك هو الله سبحانه وتعالى. وفي هذا المعنى يقول الأصمعي: (رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة وبيدها سُبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا!؟، فقالت:

ولله مني جـانب لا أضـيـعـه

وللهـو مني والبطالة جـانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له).

فهذه الرواية التي يذكرها الأصمعي تضرب لنا مثلاً رائعاً لامرأة صالحة تملك القدرة على الموازنة بين حقوق الله وحقوق الزوج).

٩ - البعد عن الغيرة الشديدة وكثرة الشكوك:

إن الغيـرة من المحب دليل على صـدق حبـه، وقوة مـودته، ولكن المحمود منها هو الغيرة المحمودة المتعقلة، أما الغيرة بمناسبة وغير مناسبة، وكثرة الشكوك، فإنها خطر محدق، ولذلك قال أحد العلماء لابنته قبل زواجها: (إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق).

ويروى أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أوصى ابنته فقال: (إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء).

فعلى المرأة أن تشعر زوجها بحبها له وغيرتها عليه، ولكنها الغيرة الراشدة التي لا تناقض الثقة والأمان، وإن هنالك من شياطين الإنس من يحاولون إفساد بعض البيوت بإثارة غيرة أحد الأزواج على صاحبه، وخصوصاً من خلال رسائل الجوالات المجهولة التي تكثر في هذا الزمان، فعلى الزوجة أن تكون واعية حريصة عاقلة، ولو شكت في شيء من أمور زوجها فعليها أن تعالج ذلك بمنتهى الحكمة والأدب.

١٠ - الصبر:

الحياة عموماً لا بد لها من الصبر؛ فالصبر ضياء، وأهله يوفون أجورهم بغير حساب، والله تعالى مع الصابرين، ومن صبر ظفر. إن الحياة بمتاعبها ومشاغلها وأنكادها وآلامها ترهق النفس، وتتعب الفؤاد، وتجرع العنت، والإنسان خلق في كبد، ولكن الصبر هو الضياء الذي يخترق به الإنسان كل ظلمات الحياة ومتاهاتها، وهو الميدان الجليل للأجر والفوز والظفر في الدنيا والآخرة.

ومن أهم الأمور التي تحتاج إلى الصبر أمور المنزل والأسرة والخدمة والتربية، وإن الزوجة بالذات تتعرض لأشق الأمور وأكبر المتاعب، سواء في القيام بواجب الزوجية، أو حقوق المنزل أو التربية والمتابعة والتوجيه، أو ملازمة البيوت، أو الصبر على الحجاب، وأشق من ذلك ما تتعرض له من متاعب الحمل والولادة والطمث والرضاع والسهر والأرق.. وما إلى ذلك، وقد تبتلى الزوجة مع كل ذلك بزوج متاعبه كثيرة، ومتطلباته متعددة، أو معاملته سيئة، وقد تتحمل من هموم الأسرة والتربية الشيء الكثير، ولكن عليها أن تصبر وأن تحتسب الأجر عند الله تعالى، لتكون من الحور العين في أعلى عللين؛ ولذلك فالله تعالى يعطيها أعظم الأجر، ويدخلها من أي أبواب الجنة شاءت إذا صلت فرضها، وصامت شهرها، وحفظت لسانها وعفتها.

ولقد بشّر ﷺ الصابرين والصابرات بشائر عظيمة منها قوله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**». [رواه البخاري: ٥٦٤٢].

وقوله: ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**». [رواه البخاري (٥٣٢٤) ومسلم (٢٥٧٢)].

ويقول ﷺ: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**». [رواه أحمد].

وإنني أسلي المرأة المسلمة بهذا الحديث الجميل الماتع، الذي هو عبارة عن استفسار تقدمت به امرأة عظيمة إلى المصطفى ﷺ، فكانت مثار الإعجاب والإكبار، وجاء أحسن الجواب وأجمل البشارة فقد أتت أسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنها - النبي ﷺ فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟!، فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم**

مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟»، فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت». [أخرجه البيهقي في الشعب: ٦/٤٢١].

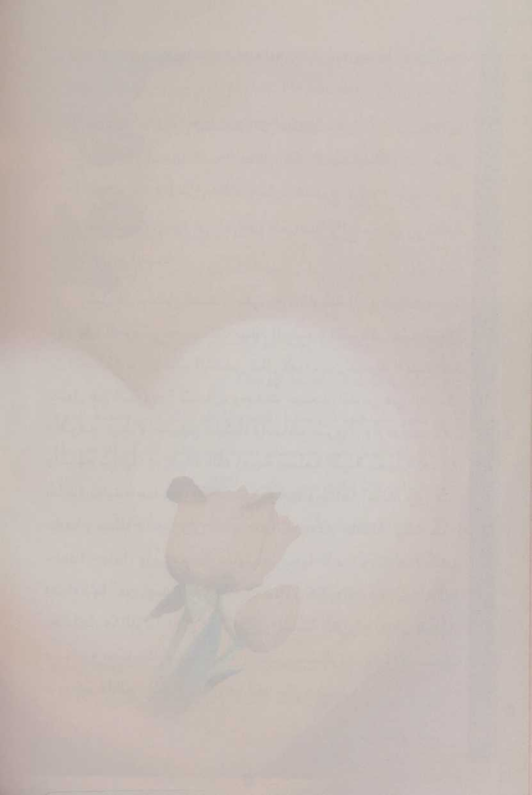
١١- همسات مضيئة:

وإضافة لما سبق من النصائح والوصايا والفوائد والهدايا، هذه بعض الهمسات المضيئة أذكرها بإيجاز لكل أخت تحب لحياتها الاستقرار والهدوء والنجاح:

- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تخرج متبرجة.
- أن تكون مبتسمة بشوشة الوجه.
- أن تكون شاكرة لزوجها، فهي تشكر الله على نعمة الزوج الذي أعانها على إحصان نفسها، وهي تشكر له جميله ومعروفه، ولا تكون ممن يكفرن العشير.
- ألا ترفع صوتها على زوجها إذا جادلته، بل تناقش بأدب، وتتكلم باحترام.
- ألا تتردد في الاعتراف بالخطأ وتسرع بالاعتراف والاعتذار وتعد بعدم العودة.
- أن تودعه إذا خرج بكلمات محببة إلى نفسه وتبين مدى اهتمامها به وقلقها عليه، وتدعو له وتوصيه بتقوى الله في السر والعلن.

- عند عودته تستقبله بالبشاشة والترحاب والطاعة والتخفيف عنه.
- ألا تسمح للآخرين بالتدخل في حياتها، وأن تحل مشكلاتها مع زوجها بنفسها قدر الإمكان، فإن القضايا الزوجية متى ما تعدّت حدود المنزل فتلك إشارة خطيرة، وبادرة مريرة.
- أن تستشير زوجها في أمورها الخاصة والعامة لتزرع الثقة والاحترام بينهما.

وقبل أن نسدل الستار على هذه اللوحة التي تزينت بأهم الوصايا للعروس نختم ذلك بهذه الوصية المفيدة، حيث يروى أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال لأيوب بن القرية البليغ: ما تقول في التزويج؟ فقال: وجدتُ أسعد الناس في الدنيا، وأقرهم عيناً، وأطيبهم عيشاً، وأبقاهم سروراً، وأرخاهم بالاً، وأثبتهم شباباً؛ من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة. إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة، وإن قتر عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، وقد ستر حلمُها جهلها، وزيّن دينُها عقلها، فزوجها ناعم، وجارها سالم، ومملوكها آمن، وصبيها طاهر، فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها، وكاللؤلؤة التي لم تثقب، والمسكة التي لم تفتق. قوّامة صوّامة ضاحكة بسامة، إن أيسرت شكرت، وإن أعسرت صبرت، فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه.





المتأمل في الكتب والمؤلفات والرسائل المتعلقة بموضوع الزواج والأسرة وما إلى ذلك يجد أن المسؤولية الأكبر، واللوم الأكثر، إنما يوجه إلى المرأة دائماً، وكأنها هي المسؤول الأول والأخير في نجاح الزواج من عدمه، وفي استقرار الأسرة من ضياعها، وذلك ليس عدلاً.

ومع إيماننا بأهمية المرأة وعظيم دورها، وكبير أثرها في ذلك، وأنها الركن الأساسي، والمعلَم الأهم في كيان الأسرة، فإن الرجل أيضاً عليه مسؤولياته العظمى، ومهامه الكبرى، فهو الراعي، والرائد، والسيد، والموجه، والربان، والقائد، وصاحب لواء القوامة، وتاج الزعامة، فيجب أن يأخذ حظه من التوجيه والنصح والإرشاد والتذكير بالمسؤولية، والتنوير في العلاقات الزوجية، والتعاملات الأسرية، واللفتات العاطفية.

وإنني من خلال تجربتي الاجتماعية رأيت أن أغلب الخلافات والنزاعات، وقضايا الفراق والطلاق والتفكك الأسري، يكون المتحمل للعبء الأكبر منها هو الرجل، بل حتى

بعض الانحرافات لدى الزوجة أو البنات تجد أن ذلك يعود بشكل أو بآخر إلى الرجل، إما بشدته وصرامته، أو إهماله وتضييعه، أو بخله وشحه، أو تدليله الزائد عن الحد، أو عدم اهتمامه بنفسه، بمظهره، بنظافته، بأناقته، أو عدم اكتراثه لمسائل الجنس، وإشباع الرغبات، وكلمات الحب، وعبارات الشوق، وفنون المعاشرة، ولطيف المداعبة، وحسن الخلق، أو بكثرة غيابه، أو بخيانة الزوجة، أبو بإثارة الشكوك، أو اللامبالاة، وما إلى ذلك من المعايب والمثالب والمتاعب التي تكون في الرجل، فتصبح شرارة لاشتعال نيران الفراق والشقاق والطلاق والانحراف والانجراف والضياع والنزاع والتفكك، وتهاوي صروح الحب، وتحطم حصون الود، وتهدم أركان الأسرة.

ولذلك رأيت هنا أن أوجه بعض الوصايا الموجزة، والهدايا العاطرة، والنصائح الصادقة، والتي هي بمثابة الأنجم المضيئة في سماء الحب، وفضاء الأسرة، يهتدي بها المحبون ويستنير بها السائرون، مع أنها كما أسلفت يشترك فيها الرجل والمرأة:

١ - تقوى الله تعالى:

تقوى الله تعالى واللجوء إليه، وسؤاله دائماً وأبداً التوفيق، فإن الموفق من وفقه الله وأعانه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

٢ - أن يعرف الإنسان هدفه من الحياة:

أن يعرف الإنسان إنسانيته وهدفه في الحياة، ورسالته في الكون، فينطلق على بركة الله، ويدلف إلى بوابته على نور من الله، ويضع يده في يد زوجته للتآزر في مسيرة الحياة الواعدة الراشدة الهادية المهدية، وبسم الله مجريها ومرساها.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، لذلك إذا أضاء هذا المعنى الجميل في نفس الإنسان فإنه ينير له كل دروبه، فحينما يمن عليه ربه بليلة العمر، تسعد بها نفسه، ويشرق بها قلبه؛ لأنه بها يحقق

جزءاً من رسالته في الكون، وإعماره للحياة فهو سيقيم بيتاً مسلماً، ويبني كياناً مؤمناً.

٣ - معرفة معنى الزواج:

أن يعرف المتزوج ماذا يعني له الزواج، فليست المسألة في الزواج مجرد التقاء رجل بامرأة لقضاء الوطر، وإفراغ الشهوة، وتحقيق اللذة، أو لإنجاب الأبناء والبنات.

إن الزواج رباط عظيم، وميثاق غليظ، ومملكة جميلة، تتعانق فيه الأرواح، وتسافر فيه المشاعر، وتلتقي الأفئدة، وتسمو النفوس، وتزكو العقول، وتسكن الضمائر. إنه التقاء يثمر حباً، وسكناً، وتراحماً، وهناءً، وصفاءً، وتعاوناً، ومودة، وترابطاً، وسعادة، وسروراً، ولذة، ونشوة، وعبادة، وطاعة، وهداية، وصلاحاً، وفلاحاً، ونجاحاً، ورضاً.

وعلى الرجل أن يشعر بروعة الزواج وروعة المرأة وروعة دخوله إلى عالمها، ويدلف إلى ذلك بمتعة ورغبة وأريحية، وبذلك يعذب الزواج ويجمل ويطيب.

٤ - تأصيل الحياة الأسرية:

أن يؤصل لحياته الأسرية، ويؤسس لكيانها، ويهتم لرفعة بنيانها. إن الزواج مشروع عظيم، وحدث جليل، وليس أمراً عادياً، أو رحلة عابرة، بل هو محطة فاصلة في تاريخ الإنسان، ولذلك ينبغي وضع الدراسات الواعية الجادة ورسم كل

الخرائط واللوحات التفصيلية لنجاح هذا المشروع، ليقوم على أسس راسخة، وعمد شامخة، يضع الإنسان التصور السليم العاقل المدروس لانبثاقة أسرته، ومسيرة شراكته، حتى تحقق أحسن الأرباح، وتنجو من الخسائر والمخاوف.

٥ - حسن الخلق:

التعود على حسن الخلق، وجميل الطباع، ولطيف المعاملة، فإنها لباب الدين، وروح الإسلام، وحلية المرء، ورفعة القدر، وبريد المحبة، وأساس المودة. إن حسن الخلق يرفع الإنسان في الدنيا، ويعلي مكانته في الآخرة، بل هو الطريق الأقوم لمجاورة الحبيب المصطفى ﷺ في جنات النعيم، فهو القائل: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**» [أخرجه الترمذي (٢٩٨) وحسنه]، والقائل: «**خيركم خيركم لأهله**» [أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه]، وحسن الخلق يرتقي بالمسلم إلى درجة الصائم القائم، وبه يتربع الإنسان على عروش القلوب، ويسكن الأرواح، وتحييه المهج، وتغرد له الضمائر وتأنس به البيوت.. فعليك أن تعود نفسك منذ فجر حياتك العائلية، وإشراقة مسيرتك الزوجية على حسن الخلق، من اللطف واللين والرفق والتواضع والبسمة والصبر والتحمل، وغير ذلك من كريم الصفات وجميل السمات.

يقول ﷺ: «**ألا أخبركم على من تحرم النار؛ على كل هين لين سهل قريب**». [أخرجه الترمذي (٢٤٨٨) وحسنه]، وسئل ﷺ عن

أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**» [أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وصححه].

٦ - مراعاة حق الزوجة في الوقت:

إعطاء الزوجة حقها من الوقت، فمهما كانت مهامك ومشاغلك، فإن الزوجة تتطلع إلى الجلوس إليك، والحديث معك، ومشاركتك آلامك وآمالك، وسماعك لآمالها وآلامها، وسؤالك عن حالها، وإشعارها بحبك لها وقربك منها. وهذه اللحظات التي سوف تخصصها لها، ثق تماماً أنها زاد معنوي روحي كبير، يترع قلبها رضا، ويملأ حياتها بهجة.

٧ - معرفة معنى القوامة:

القوامة لا تعني التسلط والأوامر والشدة والاستعلاء، وإنما هي بمعنى الرعاية والعناية وحسن السياسة والتشاور والتناصح وبذل الجهد، والنصب والتعب لراحة الأسرة والقيام بشؤونها، وملء حياتها بكل معاني الحنان والرضا والمودة.

٨ - احترام الزوجة:

احترام الزوجة وتقدير مكانتها، وإعطاؤها حقوقها، وإشعارها بكرامتها، وأخذ رأيها، وسماع وجهة نظرها، وعدم التعصب للرأي، فإن من بعض العادات الجاهلية عند بعض الرجال وفي بعض المجتمعات أنهم لا يقيمون للمرأة شأناً، وكأنما هي مخلوق ناقص، بينما نجد أن الله تعالى رفع شأنها،

وأعلى منزلتها، وسمى السور باسمها، وسمع قول التي تجادل نبيه - في زوجها، وكذلك المصطفى - له سجل حافل في العناية بالمرأة والوصية بها والاهتمام بشأنها، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما كنا نعد النساء شيئاً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل).

٩ - الكرم:

وهو من أهم الأمور، وأعظم الواجبات، وأحسن الصفات، وأكمل السمات، فالكريم حبيب الله وحبيب الناس، يستميل النفوس، ويستحوذ على القلوب، وتنسى عيوبه، وتغتفر زلاته، وتحترم آراؤه.. أما البخل فهو صفة ذميمة، وخلة لئيمة، يورث الكره، ويزرع الحقد، ويوغر الصدر. بل لقد مر بي قصص لنساء انحرفن إلى أمور خطيرة ليس لسبب إلا بخل الزوج وشحه المقيت مما ألجأها إلى الحاجة الشديدة التي جعلت منها تبيع كرامتها وتهدر حياءها، ولو كان الزوج فقيراً لرضيت بالأمر، ولكن الذي أثار غضبها ومقتها أن الزوج غني ومقتدر، ويصرف على نفسه وشهواته ومصالحه، بل ويضيّف الضيوف، ويقيم الولائم، ويسافر يمنة ويسرة، فإذا ما التمست منه ولو مبلغاً يسيراً فتح لها عشرين ملفاً للتحقيق تخرج منها مدينة لا دائنة!.

يقول ﷺ: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة، يحتسبها، فهي له صدقة**». [أخرجه البخاري: ٥٥]

ويرغب في النفقة على الزوجة، فقول ﷺ «**دينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**». [أخرجه مسلم: ٩٩٥].

١٠ - تشجيع الإيجابيات والغض عن السلبيات:

فبعض الرجال لا يرى من المرأة إلا أخطاءها، ولا يتنبه إلا لسلبياتها، ولكن أفضالها وأعمالها وإيجابياتها لا تجد فيه ذكراً، ولا تكتسي منه شكراً، والأولى أن يكون الأمر على خلاف ذلك، وإن كثرة ملاحقة المرأة بسلبياتها يورث لديها نوعاً من الكآبة واللامبالاة وعدم الاهتمام، كما أن تشجيعها وشكرها يبث في نفسها الراحة والحب والطمأنينة.

١١ - عدم تكبير التوافه وتضخيمها:

فبعض الرجال - كما قيل في المثل - يجعل من الحبة قبة، فتجده يثور وينفعل على كل صغيرة قبل الكبيرة، والأولى أن يعرض عن توافه الأمور، ويلتمس العذر، ويرتقي بتفكيره، والمرأة خلقت من ضلع، وأعوج ما في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت لتقيمه كسرته.

١٢ - البعد عن كثرة الشكوك:

هنالك فرق بين الحرص والمتابعة العاقلة، والمراقبة الواعية، وبين كثرة الشكوك التي لا يزال الشيطان ينفخ فيها حتى تنفجر لتكون بركاناً يدمر بنيان الأسرة، ويحطم كيان المحبة، والشك في غير محله سرطان قاتل وداء مهلك.

١٣ - الممازحة والمداعبة:

لا شيء أجمل في الحياة من الروح الباسمة، والنفس الضاحكة، والأسارير المتهللة، والوجه المشرق، والمحيا المتلألئ. إنها تملأ الحياة أنساً، والكون طرباً، والأرواح نشوة.

الورد باسم، والزهور باسمة، والأنهار باسمة، والطيور باسمة، والصبح باسم، والبدر باسم، والشمس باسمة، والحب باسم، والدنيا باسمة، كل شيء باسم، كل شيء جميل، كل شيء طروب، الخمائل متمايلة، والأغصان راقصة، والبلابل صداحة، والحدائق جذلى، والفراشات نشوى، والحمائم سكرى.

فلماذا الإنسان عابس، والمرء مكفهر، والبشر مقطبون؟ الرجل كئيب، والمرأة حزينة، والطفل غضوب.

لماذا نجعل الجانب المظلم في الحياة يسرق أفراحنا، ويقتل ابتسامتنا، ويميت جذلنا؟.

لماذا ننظر إلى الليل - مع أنه باسم أيضاً - لماذا ننظر إليه ونتعامى عن ضوء النهار؟ لماذا ندقق في الشوك، ونغفل عن الورود العابقة، والأزهار الفواحة؟.

لماذا نتلمس صوتاً للبوم، ونعيقاً للغراب، ونغلق منافذ السمع عن الطيور الصداحة، والبلابل المغردة، والحمائم الساجعة، والأنهار العازفة؟.

لماذا نتخيل الشر، ونتوقع الردى، ونتخوف الأسى، وننسى الخير المتدفق، والعطاء المتألق، والصفاء المنتشر، والأمل الجميل، والتفاؤل الحسن؟.

إن الأنفس المعتمة، والأرواح المظلمة، لا ترى في الوجود شيئاً جميلاً، تنظر للحياة بمنظار أسود، وتتعامل مع الأيام بتشاؤم أحمق، أما الأنفس الطموحة، والقلوب المشرقة، والأرواح المتفائلة، فإنها تنظر بمنظار جميل، وتتأمل ببصر وردي، وتشتغل بالسرور عن الحزن، وبالأمل عن العلل، وبالفرح عن الترح، وبالضحك عن البكاء، وبالابتسام عن الآلام.. فكن ضاحكاً إذا عبست الأيام، باسماً إن أظلمت الدروب، متفائلاً إن ضاقت السبل.

إن البسمة والانشراح والحب والصبر تجعل من الكوخ الصغير كونا فسيحاً، والمكان الضيق واسعاً، والأحداث المؤلمة محتملة، طمعاً في أجرها وحسن جزائها.

إن الضحك والابتسامة دواء للهموم، ومرهم للأحزان، وتسلية للنفوس، وجمام للأرواح.. إنها كمال وجمال، وروعة وبهاء.. إنها تجدد النشاط، وتبعث الحيوية، وتطرد الملل، وتقضي على الرتابة.

الابتسامة نور يشرق، وضياء يتلألأ، وفجر يبرق، وفأل يلوح، وعطر يفوح، وأمل يتجدد.. فاجعل من بيتك ابتسامة

مشرقة، ومن حياتك الزوجية مرحاً وضيئاً، وضحكاً بريئاً، وسروراً ندياً، وجواً بهياً.

والمتأمل في أخلاق المصطفى ﷺ يجدها حياة باسمة ضاحكة بشوشة وذلك لعلمه ﷺ بسحر الابتسامة، وأثر الملاطفة، تقول عائشة - رضي الله عنها -: «**كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس، وألين الناس، ضحاكاً بساماً**» [أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق: ٣٩٧].

ولقد علمنا ﷺ أن ابتسامة المسلم لأخيه المسلم صدقة، ويقول ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**». [أخرجه مسلم: ٢٦٢٦]

ويقول ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**». [أخرجه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٢)].

ويقول ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**». [أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٥٥٥)].

ويقول عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: (ما رأيت أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ).

ولقد كتبت في هذا الأمر كلاماً جميلاً موسعاً في كتابي (قصائد ضاحكة) لمن أراد أن يرى هذه الروائع النبوية.

ولقد كان ﷺ وهو إمام البشرية، وهادي الإنسانية، والمشغول بالوحي، والمتعمق في العبادة، والقمة في الخشية، والمكلف بالرسالة، كان مع كل ذلك يمازح أصحابه، ويداعب أزواجه، ويلاطف أهل بيته.

ومما ورد في ذلك:

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «**تقدّموا**»، فتقدموا، ثم قال لي: «**تعالي حتى أسابقك**». فسابقته، فسبقته فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتى أسابقك**». فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**». [أخرجه أبو داود (٢٥٧٨) وصححه الألباني].

وعنها - رضي الله عنها - تقول: «**أتيت النبي - بحريرة قد طبختها له، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها: كلي، فأبت، فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الحريرة، فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها، فلطخت وجهي، فضحك النبي ﷺ لها**» [أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤٧٦) وقال محققه: إسناده حسن].

١٤ - المشاركة في الخدمة:

يظن بعض الرجال أنه من العيب مشاركة الأهل، ومساعدة الزوجة في أمور المنزل، وأعباء البيت، وأن الرجل لا شأن له بذلك، وكأنما هي الزوجة والمربية والخادمة والطباخة، وهو مجرد ملك كريم، يجبى إليه ثمرات كل شيء، بينما لن يكون لدى الزوجة أجمل أثراً، ولا أطيب عملاً من مشاركة زوجها لها ولو بأمور يسيرة، أو في فترات معينة. إن لهذا العمل آثاراً نفسية كبيرة، ولذلك كان المصطفى ﷺ يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويكون في مهنة أهله.

١٥ - الحذر من الغضب:

الغضب وما أدراك ما الغضب، رأس المصائب، وشريان المتاعب، وبريد الهلكة. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**» فأعاد عليه ثلاث مرات وهو يقول: «**لا تغضب**» [أخرجه البخاري: ٥٧٦٥].

الغضب جماع الشر، ومصدر الهلاك، آثاره أليمة، ونتائجه وخيمة. دمرت به أسر، ومزقت به بيوت، وقطعت أرحام، بل وأريقت دماء، ولخطورة هذا الأمر وفداحة نتائجه أسرد بإيجاز أهم أسباب تسكين الغضب:

١ - أن يذكر الإنسان الله عز وجل وقدرته عليه. قال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾، قال عكرمة: يعني إذا غضبت.

يروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «**اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فارض بنصرتي لك فإنها خير من نصرتك لنفسك**».

ويروى أن بعض الملوك كتب كتاباً وأعطاه وزيراً له، وقال: إذا غضبت فناولنيه، وكان فيه: مالك وللغضب إنما أنت بشر، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

ويروى أن أحد الملوك كان إذا غضب ألقي عنده مفاتيح مقابر الملوك فيزول غضبه.

وقال رجل لهارون الرشيد - وقد غضب عليه وكاد أن يعاقبه -: «يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا عفوت عني»، فعفا عنه.

٢ - أن يذكر ما أعده الله من الثواب لمن كظم غيظه وعفا وأصلح: قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٤٠] ، وقال تعالى عن المتقين: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

كانت جارية تصب الماء على يدي جعفر الصادق - رحمه الله - فوقع الإبريق من يدها فانتثر الماء عليه، فاشتد غضبه، فقالت له: يا مولاي ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ ، قال: كظمت

غيظي، قال: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، قال: أنت حرة !! فانظر احترامهم لآيات القرآن وآدابه.

وقال ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**». [رواه الترمذي: ٢٠٢١].

وقال ﷺ: «**ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل**». [أخرجه أحمد (١٢٨/٢) وصححه محقق المسند].

غضب عمر بن عبد العزيز يوما، فقال له ابنه عبدالملك: يا أمير المؤمنين، مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟!، فقال له: أوما تغضب يا عبدالملك، قال وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر!.

٣ - التعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة جلوس عنده وأحدهما يسب صاحبه مغضباً، قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».
[أخرجه البخاري: ٣١٠٨].

٤ - الوضوء: قال ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» [أبو داود: ٤٧٨٤].

٥ - تغيير الهيئة: قال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**». [أخرجه أبو داود (٤٧٨٢) وصححه ابن حبان].

٦ - السكوت: قال ﷺ: «**علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**». [أخرجه أحمد (٢٨٣/١) وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧٥)].

٧ - أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم: فكم من إنسان تدمرت حياته، وشقيت أسرته بسبب الغضب، فيغضب الرجل غضباً شديداً فيطلق زوجته، ثم يندم بعد ذلك وقد لا ينفع الندم. يغضب الإنسان غضباً شديداً فيعاقب أبناءه بما يندم عليه، أو يموت منه كمداً.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ألا تعاقب عند غضبك، وكان - رحمه الله - إذا غضب على أحد يسجنه ثلاثة أيام، ثم يعاقبه حتى لا يعاقبه وهو في سورة غضبه وحدة انفعاله خشية أن يتجاوز الحد في العقاب.

قال أحد الحكماء: إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل العذر. وقال أحد السلف: ما تكلمت في غضبي قط بما

أندم عليه إذا رضيت. وقال علي ابن أبي طالب: أول الغضب جنون وآخره ندم، وربما كان العطب في الغضب.

وقال بعض الحكماء لابنه: «يا بني لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم» وقال آخر: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار.

١٦ - الحلم واللين والتسامح والعفو:

وهي سمات المسلم الحق، وصفات المؤمن الصدق، وهي قيم وأخلاق لا ينالها إلا العظماء ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

ومن العجيب أن القرآن في حديثه عن العفو حينما كان الحديث عن الأسرة قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التغابن: ١٤]، فاستخدم كل كلمات التسامح والعفو والصفح لتكثيف الصورة، وللتأكيد والحث على وجوب تمثل هذا الخلق الجميل داخل البيت المسلم حتى لو كان من الأبناء والزوجات خطأ أو مخالفات، وحتى ولو كانت تلك الأسرة ممن يأتي منهم الغرر والعداء والأذى، فكيف إذا كانوا

مغلوبين على أمرهم ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ؟!. أين هم من قوله ﷺ: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» [أخرجه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه]، و«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وحسنه]، ومن قوله ﷺ: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق**» [أخرجه أبو داود (٢٧٩٩) وصححه الألباني]، وكم من الأحاديث العطرة التي تأمر بحسن الخلق على وجه العموم، وفي محيط الأسرة على وجه الخصوص.

إن التسامح والتغاضي والتغافر من العشرة بالمعروف، وله أثره الأكبر في السعادة الأسرية، وأجره الأوفى من رب البرية، يقول ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**». [أخرجه أبو داود (٤٨٠٧) وصححه الألباني].

١٧ - عدم التهديد بالزواج:

فهنالك أزواج لا هم لهم إلا تهديد الزوجة بالزواج عليها، بمناسبة وبغير مناسبة، ويظن بعضهم أن ذلك أسلوب ناجح في حث همتها وكثرة عطائها بتهديد حياتها، ولكنه على العكس من ذلك. إنه أسلوب سخيف، وتهديد ضعيف، لا يزيد المرأة إلا تحطيماً وتعقيداً وخيبة أمل، والأولى أن يرفع معنوياتها ويرتقي بنفسيتها، بإعطائها الأمان، وإشعارها بالحب والحنان.

١٨ - عدم إظهار الإعجاب بالأخريات:

فمن الأمور المحطمة لنفسية الزوجة أن يظل الزوج يتمدح بالنساء، يمتدح فلانة، ويشيد بفلانة، ويذكر من محاسن تلك، ومن جمال هاتيك. إلى غير ذلك، والأولى ألا يأتي ذكر ذلك على لسانه حتى ولو كانت حقاً، وأن يجعل ثناءه وإطراءه لزوجته فقط، والعجيب أن بعضهم يغيظ زوجته بهذا الكلام، وتلك المدائح في الأخريات، بينما هو خلو من كثير من الصفات التي تراها زوجته في غيره ومع ذلك راضية به، محبة له، صابرة عليه.

تشتكي إليّ إحداهن مرة فتقول: زوجي رغم أنه عادي وليس فيه وسامة أو جمال، وهو لا يعتني بنفسه كثيراً، ومع ذلك أحبه وأهتم به وأتجمّل له، وفي يوم من الأيام وأنا في غاية الشوق إليه، وقد لبست له أحسن اللبس، وتطيّبت، وتزيّنت، وكنت أنتظر كلمة ثناء أو إعجاب، فإذا به يفتح على إحدى القنوات ويرى فيها بعض النساء المتبرجات المتصنعات، فيقول لي: (شوفي كيف الحلوات! شوفي الذوق! هاذول الجميلات). تقول: فأصبت بصدمة وخيبة أمل وإحباط، وسقط من عيني كثيراً.

١٩ - التعاون في التربية:

لا شك أن للمرأة الأثر الكبير في تربية أبنائها وبناتها، وأنها هي المحضن الأساس، والمغرس الأول لكل معاني الفضائل

والشمائل، وخصوصاً البنات، والأم هي المدرسة الأولى، والموجهة المثلى، ولكن الأب عليه مسؤولية كبيرة في تربية الأبناء، وهو قدوتهم ومثلهم الأعلى وراعيهم الأهم، وللأسف أن بعض الرجال يلقي بكل أعباء التربية على المرأة، وليس له من دور إلا انتقادها وانتقاد تربيتها وتنقيص جهودها، وإلقاء اللائمة عليها.

إن الأبناء يأخذون من الأم روعة الحنان، وحرارة العاطفة، وجلال الحشمة، وحسن الأدب، ومناهل الرحمة، ورقة الطبع، وسمو المحبة، ويأخذون من الأب العاطفة الصادقة الممزوجة بالعقل والحرص، ويتعلمون منه حسن الخلق، وكرم النفس، وعلو الهمة، وشموخ الأنفة، وحب الخير، وجميل التعامل، وفنون القيادة، وسعة الصدر، ووفرة الحلم، وزينة العلم، ودروس الحياة، ورحيق التجارب، ولا يخفى أن الأب والأم يشتركان في كثير مما ذكر من الصفات.

٢٠ - الهدية:

من الأمور التي غفل عنها كثير من الناس - مع أهميتها - وجهلها فئام من البشر - مع ضرورتها - «الهدية» فالهدية تفعل في النفس فعل السحر، وتذهب غوائل الصدر، وتبعث على المحبة، وتعمق المودة، وتقوي العلاقة، وتطرد البغضاء وتزيل الشحناء. هي دليل على سخاء النفس، وطيبة القلب، وروعة الخلق، ونقاء المعدن وحب الخير، وإضمار المودة، وتقوي

الدعائم، وتذهب السخائم. يقول رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**». [أخرجه أبو يعلى (٦١٤٨) وحسنه الألباني في الإرواء: ١٦١٠].

وإن من أهم ما يكسب به الرجل قلب زوجته ويبرهن به على حبها، ويدلل على الاهتمام بها أن يتذكرها بين الفينة والأخرى بالهدايا المناسبة والتحف المحببة، وليس معنى الهدية الإثقال والإرهاق، وأن يتكلف الزوج فوق طاقته. إن قيمة الهدية عند المرأة ليست في ثمنها أو ارتفاع سعرها، بل فيما تحمله من معنى جميل، ورسائل صادقة.

إنّ وردة فواحة، أو زهرة خلابة، تقدمها لها تساوي بالنسبة لها شيئاً كبيراً، وتحدث أثراً جميلاً. فعليك ألا تغفل هذا الجانب الجميل من حياتك.

٢١ - إكرام الأهل:

من إكرام الزوجة إكرام أهلها، ومن الإحسان لها الإحسان إليهم، ومن حبها حبهم. إن اهتمام الزوج بوالد زوجته ووالدتها على وجه الخصوص، وبإخوانها وأخواتها وأصهاره عموماً، له في نفسها أطيب الأثر، وأجمل الوقع؛ فهو من جهة يمتن المحبة، ويوثق المودة، ويزرع الفخر للزوجة، ومن جهة يوثق العلاقة بأهلها، ويكسب ودهم وحبهم، فيثمر ذلك في علاقته بزوجته، وبوقوفهم إلى جانبه، وحثهم لابنتهم دائماً على حسن معاملته، وجميل احترامه.

يجب أن يكون والدها والداً لك، ووالدتها والدة لك، وهي كذلك بالنسبة لأهلك. إنك قد أخذت منهم زهرة فؤادهم، وثمرة حياتهم، ونور أيامهم، ولذلك تأثير كبير خصوصاً على الأم، فإذا رأت فيك الحب لها ولابنتها، والإكرام لها ولابنتها، يطيب قلبها، وتهدأ نفسها، وتقاسمك الحب والحنان من أزكى ينابيعه.

٢٢ - التعاون على البر:

مما يلحق بالتعاون على التربية، التعاون على البر بجميع ألوانه، وشتى أفنانه. إن التعاون على البر مطلب بين جميع المسلمين، وكافة المؤمنين، فكيف به داخل البيت الواحد، وبين القلبين المتعانقين. يجب أن يعين الرجل زوجته على الطاعة والمعروف والإحسان والكرم والخير والصدقة والصلاة.. وما إلى ذلك، يجب أن يشجعها على كل معروف، ويشكرها على كل بر، ويدعمها في كل إحسان، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[المائدة: ٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر].

٢٣ - احذر الكلمات الجارحة:

الزوج العاقل هو الذي يروض نفسه على مكارم الأخلاق وجميل الألفاظ، وزكي المباني، وشذي المعاني، فيترفع عن ألفاظ السباب، ويتنزه عن كلمات الشتائم؛ لأن تلك صفة المسلم الحق، كما أخبر ﷺ ،فهو ليس بالطعان ولا اللعان ولا

الفاحش البذيء، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، تلك سمة المؤمن مع كل أحد، فكيف به مع أهل بيته! بل مع شريكة عمره؟. وإن مما يؤسف له أن بعض الأزواج قد انثنى لسانه، واعوج بيانه، فهو لا يتردد عند أول غضبة أو غلطة أن يسل سيف ألفاظه الجارح الذي يدمي القلب ويمزق شرايين الفؤاد، وقد يرضى بعد ذلك وقد يعتذر، ولكن سموم الكلام الجارح قل أن يذهب أثرها، فكيف إذا كانت تلك السموم تُتجرع كل يوم، فعوّد نفسك سمو اللفظ، ورقي التوجيه، وعذب الكلام، ووارف العتاب.

٢٤ - قدم ملاحظاتك في لطف:

وهذا المعنى تابع لما قبله، والمقصود أنه إذا كانت هنالك ملاحظات على الزوجة، وأمور ترجو تصحيحها، وأخطاء تتمنى ذهابها، فبإمكانك أن تقدم تلك الملاحظات لحبيبتك في باقة من أزهار الكلام الجميل، فما كان اللطف في شيء إلا زانه.

٢٥ - الخادمة قدر الإمكان:

مما عمت به البلوى في هذا الزمن انتشار الخادمات وشدة الحاجة إليهن، والاعتماد عليهن، وإذا كان الزوج لا تسمح ظروفه بتوفير الخادمة فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا شك أن هنالك بيوتاً لا خدم فيها، ومع ذلك يعيشون من أسعد الناس وأهنئهم، وكم نتج عن الخادمات والخدم من الشرور والمصائب والمتاعب، ولكن مع ذلك نقول: إذا كان الزوج مقتدراً فإن وجود خادمة له أثر

كبير في حياة زوجته وراحتها، ووجود وقت لديها للاهتمام بزوجها وإمتاعه وإيناسه، وحبذا أن تكون هذه الخادمة برفقة محرمها، فإن لم يوجد فليحرص أن تكون متقدمة في السن، وعليه أن يدرس أخلاقها ويتابع تصرفاتها، ويعودها الأدب والحشمة، ويحسن إليها ولا يظلمها، فينتقم الله منه ومن زوجته بسبب ظلمه لإنسانة غريبة منقطعة ما لها إلا الله تعالى.

إن أوضاع الأسر اليوم تختلف عما سبق تماماً، فقد تضاعفت المسؤوليات، وتعددت المطالب، وكثرت المصارف، وثقل كاهل البيوت والمجتمعات بأمور جسام، مما أصبح معه وجود الخادمة يمثل ضرورة كبيرة؛ لأن بعض الناس قد يحتج ويقول: كيف توصي بوجود الخادمة وفي ذلك كذا وكذا من المحاذير؟ ولماذا لا توصي بما أوصى به النبي ﷺ علياً وفاطمة رضي الله عنهما؟ فنقول الخير كل الخير في وصية حبيبنا ﷺ، ولكن هذا الدليل يكون عليك وليس لك. فإذا كانت فاطمة -رضي الله عنها - رغم بساطة الحياة في زمنها وسهولة المعيشة وقلة الأعباء، قد أُرهقت من عمل البيت، وسألت والدها خادماً، فكيف بالمرأة في هذا الزمن الذي تحتاج المرأة معه إلى عشر خادمات وليس إلى خادمة واحدة؟ ولا شك أن السلامة منهن أولى، ولكنها ضرورات الحياة في هذا الزمن، ونسأل الله أن يتوب علينا.

أما الذين لا يستطيعون توفير الخادمة أو الخادم فنوصيهم بوصية المصطفى ﷺ لابنته فاطمة ولزوجها علي -

رضي الله عنهما - فقد جاءت إلى أبيها ﷺ لتشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، فلم تجده، فأخبرت عائشة - رضي الله عنها - بذلك، فلما جاء أخبرته عائشة. قال علي رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقول، فقال: «**مكانكما**»، فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: «**ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما - أو أويتما إلى فراشكما - فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**». [أخرجه البخاري: ٢٩٤٥].

٢٦ - كن معها في الظروف والمناسبات:

في حياة المرأة ظروف قاسية، ومحطات صعبة، كظروف الحمل والولادة والتربية والمرض والأفراح، وما إلى ذلك، ولكن من هذه المحطات مواقف المرأة تكون فيها بأمس الحاجة إلى زوجها، فوجوده معها وبجانبها ينسيها الهموم، ويخفف عنها الآلام، كحالات الولادة، فمن العجب أن هنالك رجالاً لا يبالون بذلك أبداً، بل قد يستغل تلك الفرصة ليسافر أو ليتنزه أو يهتم ببعض مشاغله في وقت تشرف فيه امرأته على الهلاك، فإن لم يحضر في مثل هذا الظرف فمتى يحضر ومتى يهتم. وكذلك إذا كان لديها مناسبة مهمة حبيبة إلى خاطرها، فعليك أن تشاركها فيها. وخلاصة الأمر أن من كمال الحب وجمال العشرة: المشاركة في الأفراح والأتراح.

٢٧ - لا تكثر الغياب والسهر:

إن أهم فرصة للشيطان ووساوسه، والأفكار وضلالها، والنفس وضعفها؛ هو الفراغ، وكثرة غياب الزوج، وللأسف أن بعض الناس حياته خارج البيت أكثر من داخله، وهو بذلك يعرض نفسه وزوجته وبيته إلى مخاطر مخيفة، ومتالف مزعجة، ألا فليتق الله الأزواج في المحبوسات المقصورات في الخيام، وعليك إذا ابتليت ببعض الغياب أن تظل على تواصل معها عبر الهاتف، وأن تسمعها دائماً الكلمات الدافئة، والعبارات الهائمة، وألا تجعلها تشعر بغيابك عنها.

٢٨ - لا تسفه رأيها:

بعض الرجال عندهم كبر وتسلط ومصادرة لآراء المرأة، فهي امرأة ورأيها مرفوض دائماً، وذلك من المساوئ البغيضة. لقد كان رسول الله ﷺ وهو أعظم الناس وأعقلهم وأتقاهم، كان يأخذ في بعض أموره برأي المرأة، وبمشورة الزوجة، مثلما أخذ برأي أم سلمة - رضي الله عنها - في قصة صلح الحديبية، ومثلما كان يوافق ﷺ عائشة إذا هويت الشيء ويسايرها على رأيها إذا استحسنته، فلماذا الازدراء بالمرأة وبآرائها التي ربما تكون أصوب من آرائك بكثير. استمع لكلامها واحترم رأيها، قدر وجهة نظرها، وحتى إذا لم يجد رأيها قبولاً لديك فاعتذر إليها بتلطف بعد أن تشكرها على اهتمامها ومشورتها.

٢٩ - لا تكذب عليها:

عجيب بعض أمر الرجال وخصوصاً الذين يجهلون كثيراً من أمور الدين ولا يحفظون منها إلا أن الرجل يجوز له الكذب على زوجته، والأعجب من ذلك أن يأخذ بظاهر هذا الحديث بعض الذين لديهم علم أو معرفة، فيستمرئ الكذب في كل صغيرة وكبيرة طالما أنه على الزوجة. إن على الكاذب أن يعلم أنه بكذبه يسقط أول ما يسقط من نظر زوجته، ويخف احترامها له، وتصبح لا تثق بأية كلمة منه.

أما من يحاول أن يجعل من الحديث حجة له فعليه أن يحتج أولاً بفعل النبي ﷺ وخلقه، والذي ما أثر عنه كذبة واحدة حتى قبل مبعثه، ولذلك كان يسمى بالصادق الأمين. وثانياً: فليس المقصود بالحديث بطاقة تسهيل للكاذبين، بل المقصود منه أن الرجل أحياناً قد يضطر إلى قول ما يخالف الحقيقة لإصلاح ذات البين، ورأب الصدع، ولم الشمل، أو جبر الخاطر، كأن تقول المرأة: هل تحبني أو تعشقني؟ وقد يكون حبها خفيفاً أو عادياً، فيقول لها: أحبك أعشقك. أو تسأله عن مذاق طعام أعدّته ولم يعجبه، فيثني عليه، ويقول: سلمت يداك، ما هذه الوجبة الرائعة. أو تشتري فستاناً أو تلبس قميصاً وهو عادي جداً، فتسأله عن ذوقها فيه، فيقول: رائع، جميل، فتّان، وهكذا من المجاملات التي تسير بها الحياة الزوجية.

أما أن يسافر الرجل إلى القاهرة أو باريس فتسأله المرأة، فيقول: ذاهب إلى المدينة، اشتقت لحلاوة الطاعة والصلاة في الروضة. أو يسهر مع ثلته فيقول لها: ترى أنا اليوم سهران في الشغل والعمل أتعبني. أو يصرف أمواله في غير طاعة فيدعي أنه يتصدق ويبذل للخير و يتاجر لهم في الشركات، وما إلى ذلك مما يعرفه الرجال ويفهمونه. يجب الصدق والصراحة والوضوح في الحياة الزوجية، ولا يليق الكذب والتمويه والمراوغة والخداع، فتلك سمات التافهين.

تقول لي بعض النساء: أصبحت أحتقر زوجي من كثرة ما يكذب عليّ، ولم أعد أصدقه في شيء، حتى في الكلمات العاطفية والعبارات الغرامية. أتمنى أن يكون صادقاً معي مهما كان الأمر، فهو أهون عندي من الكذب عليّ.

٣٠ - لا تكن في صف أهلك ضدها:

قد يحدث هنالك بعض المشكلات والخلافات بين الزوجة وأهل زوجها، فيجب على الزوج بذل الجهد لتذويب هذه الخلافات وحلها بالحكمة والأسلوب الحسن، ثم إن هنالك بعض الأزواج يكون دائماً في صف أهله. الرأي ما يرون، والصواب ما يقولون، ويقف معهم بالحق والباطل ضد الزوجة، وهذا حيف وظلم، ولا نقول بأن الرجل يعادي أهله ويحاربهم لأجل زوجته، ولكن أيضاً لا يظلم زوجته ويحاربها لأجل أهله، بل عليه أن يتقي الله تعالى، وأن يكون عادلاً منصفاً، والزوجة

بسبب قربها من زوجها وحبها له يستطيع التأثير عليها وإقناعها بما ينفعها بأسلوبه الحسن، وتوجيهه اللطيف.

٣١ - استغل فراغها بما ينفعها:

لا تترك زوجتك للفراغ القاتل، فإن الفراغ داء مهلك، وشبح مخيف. من رحم الفراغ تولد الضلالة، وفي أحضانه تنشأ المعصية، ولذلك عليك بمساعدتها بشَغْلِ وقت فراغها بكل ما من شأنه أن يعينها ويثقفها ويؤانسها، ويترقى بأخلاقها وسلوكياتها.

٣٢ - لا تأخذك العزة بالإثم:

يأنف بعض الرجال إذا أخطأ في حق امرأته أو أساء لها أن يعتذر إليها، ويرى بعضهم أن المرأة هي التي يجب عليها التذلل والاعتذار والمصالحة، حتى ولو كان هو المخطئ، وهذا من الجور وعدم الإنصاف، مع أنني أرى أن الرجل يجب أن يكون الأكثر حلماً ولطفاً وعفواً وتسامحاً، وأنه حتى لو أخطأت المرأة فعليه أن يبادر بالعفو، ويتخلق بالتسامح، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

٣٣ - لا تنس رسائل الجوال:

من فوائد الجوالات وحسناتها أنها أحياناً تسهم في جذب حبيب، والاعتذار لقريب، وتطييب خاطر، وإصلاح خطأ، ومن أجمل الأشياء لدى الزوجة أن تتزين شاشة جوالها بأحرف من

الشــوق والذوق يبــعث بهــا زوجــهــا، لتكون على القلب برداً وسلاماً، وتبعث في الروح شوقاً وهياماً، وتملأ الوجدان رضاً وغراماً.

٣٤ - لا تنس المفاجآت الجميلة:

المرأة طيبة، حبيبة، عاطفية، سهلة، رقيقة، تجذبها الكلمة الجميلة، وتستهويها العاطفة الجياشة، ويؤثر فيها الموقف اللطيف، ولذلك من أجمل الأمور إلى نفسها: المفاجآت الجميلة، كأن تأتيها بهدية غير متوقعة، أو تأخذها إلى رحلة لم تقترحها، أو تفاجئها ببادرة جميلة، وما إلى ذلك.

٣٥ - لا تجرئها على المعصية:

ما من إنسان إلا وله أخطاء وذنوب وتقصير، ولكنه ليس من المناسب أن يتلبس الإنسان بشيء من ذلك على مرأى ومسمع من زوجته، فإن ذلك يؤثر في نفسيتها، وقد يجرئها على المعصية تشبهاً بك، وتقليداً لك، والأولى أن يستتر الإنسان بستر الله عليه، وألا يكون في عداد المجاهرين.

٣٦ - الرحمة الرحمة:

إن الحياة الزوجية إذا قامت على الحب والرحمة فذلك هو الكمال والجمال وروعة الوصال، ولكن إذا خفتت شموع الحب، وضعفت مناهل الود، فإن هنالك ما يجعل الحياة تستمر على أركان أخرى من الرحمة والتآخي والوفاء، ومراعاة المصالح.

وإن على الزوج أن ينظر إلى اعتبارات كثيرة في زوجته، فإذا كره منها أمراً فهنالك لا محالة أمور أخرى يحبها، فهي تقوم على خدمته، وهي حافظة بيته، ومربية أبنائه، والساعية في رضاه، والصابرة معه، والمطيعة لأهله، وما إلى ذلك.

يقول ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إذا كره منها خلقاً رضي منها آخر**» [أخرجه مسلم: ١٤٦٩] ، ولذلك لما هم رجل بطلاق امرأته لأنه لا يحبها استنكر ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: (أَوَ كل البيوت تبنى على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟!).

إن الحب ليس كل شيء، فهنالك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر هام لنجاح الحياة الزوجية، والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة اجتماعية وشخصية. تقول (إيفيلين مبليس) الكاتبة الأمريكية: (ذلك لأن تقديم الحب والهوى على الإيمان في الزواج يعرض الحياة الزوجية لتقلبات المشاعر وتحولات الأحوال، خاصة بعد العشرة وانكشاف العيوب، ومواجهة العواصف والأزمات).

٣٧ - الدين الدين:

لا خير ولا فلاح ولا رضا ولا سعادة ولا هدوء ولا استقرار إلا في ظلال الدين، وفي أكناف الهدى، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

لذلك على المسلم أن يكون ناصحاً لزوجته، صادقاً لحليلته، وأن يقيم نفسه وإياها على هداية الله وشريعته. إن قلب المرأة متى ما عمر بالدين والخوف من رب العالمين فقد رفرفت رايات السعادة والطمأنينة، وقد أصبحت أنت أيها الزوج أعظم الرابحين؛ لأن الثقة وراحة البال ستملأ جوانحك فتطمئن في غيابك وحضورك، وتطمئن على أبنائك وبناتك، وتطمئن على أموالك وأسرارك وتعاملات زوجتك كلها؛ لأنها منطلقة على ما يرضي ربها، ويحب خالقها، فكن عوناً لها على تقوية وازع الدين في نفسها، وذلك عبر وسائل عدة: من المناصحة، والتذكير، والتعليم، وجلب المواد النافعة من القنوات الإسلامية، والأشرطة الإيمانية، والكتب الدينية، وما إلى ذلك.

واستمع إلى هذا الحديث القشيب، الذي يملأ النفس روعة وجمالاً، يقول ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» [أخرجه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني].

ويقول تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

ويقول الرافعي - رحمه الله -: (ومتى ما كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا وتعقدت نفساهما، فإن كل عقدة لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وهو اليسر والمساهلة والرحمة والمغفرة ولين القلب وخشية الله، وهو العهد والوفاء والكرم والمؤاخاة الإنسانية، وهو اتساع الذات وارتفاعها فوق كل ما تكون به منحطة أو ضيقة، فحق الرجل المسلم على امرأته المسلمة هو حق من الله، وكذلك حق المرأة المسلمة على زوجها هو حق من الله).

وإن من أعجب العجب أن هنالك أزواجاً يضيق أحدهم بزوجته المتدينة، ويكره ذلك فيها، ولقد مر بي كثير من الحالات انتهت بالطلاق، وذلك بسبب إصرار الزوج على زوجته بأن تتخلى عن دينها وحيائها، فهو لا يريد لها الحجاب، وهو يريد منها أن تتكشف على فلان وفلان من أقاربه وأصحابه، وآخر يريد منها أن تشاهد أفلاماً إباحية، وآخر يريد إجبارها على شرب ما حرم الله أو معاشرتها بما يغضب الله، وتقف المرأة موقف الرفض وتبذل كل ما في وسعها لمناصحة زوجها، وأخيراً إذا أقفلت في وجهها الأبواب تنادي رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من هذا الظالم وعمله، وعوضني خيراً منه يا رب العالمين.

ومن كان كذلك فهو والله الزوج الخاسر التعيس المحروم من الطيبات لأنهن للطيبين فقط.

٣٨ - لا تحرمها من صديقاتها المؤثرات:

لا شك أن على الزوج متابعة زوجته متابعة الحب والحرص والرعاية، لا متابعة التخوين والتشكيك وفقدان الثقة. إن عليه أن يعرف نوعية جليساتها، وأخلاق صديقاتها، وحقيقة علاقاتها، فإذا عرف الفاضلات منهن، الطيبات، الناصحات، ذوات السمعة الطيبة، والأخلاق الراقية، فعليه ألا يحرمها من مسايرتهن، والأنس بهن، وزيارتهن، فلا بد للمرء من جليس، وللنفس من أنيس.

٣٩ - التجمل التجمل:

وهذا مطلب جليل، وأمر عظيم، وصفة مهمة، ولولا خشية الإطالة لنقشت في ذلك صفحات عدة، ولكني أقول: إن من أهم الأمور التي يجب الاهتمام بها، والمحافظة عليها، بل والمبالغة فيها، هو أن يتجمل الإنسان لزوجته، ويتزين لخليلته، فلا ترى منه إلا أحسن اللباس، وأجمل الأناقة، وأبدع الشياكة، ويهتم بنظافة جسده، وحسن هندامه، ورائحة فمه وجسمه. يتطيب بأحسن الطيب، ويتعطر بأزكى العطور.

إن الغريب أن بعض الرجال يظن أن الزينة والتجمل واجبة على المرأة فقط فهو لا يتحمل منها التقصير في ذلك، ثم هو لا يبادلها المشاعر نفسها، ولا يلبي تلك المطالب.

إن ما تطلبه من الزوجة من حب واهتمام وتجمل وتزين، وتطيب، ومشاعر واحترام، فإن عليك مثله، وكما تدين تدان، وكما تحب أن تكون لك يجب أن تكون لها كما تحب، ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾[البقرة: ٢٢٨].

ولقد كان ﷺ أكثر الناس عناية بهندامه، فكان يلبس أحسن اللباس، ويتطيب بأفضل الطيب، بل كان حتى وهو في معتكفه يطل برأسه لعائشة - رضي الله عنها - لتمشطه وترجله وتطيبه.

٤٠ - اشرح لها شخصيتك:

كي تستقيم حياتك مع زوجتك فإن عليك تذكيرها دائماً بحقيقة شخصيتك وما يعجبك وما لا يعجبك، وما تحب وما تكره، ما يناسبك وما لا يناسبك، ما يريح بالك، وما يستثير غضبك.

وكذلك الشأن بالنسبة لها؛ أن تتعرف على حقيقة شخصيتها وميولها وأهوائها، فإن الزوجين إذا فهم بعضهما شخصية بعض أعانهما ذلك على المضي بحياة هانئة ملؤها التفاهم والتناغم والتواؤم والانسجام.

وإليك هذا الحديث الماتع الذي يجلي لك روعة النبي ﷺ في فهم النفسية والعناية بالمشاعر، تقول عائشة - رضي الله عنها -: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غاضبة**». قالت: فقلت: ومن أين تعرف

ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**». قالت: أجل - والله - يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. [أخرجه البخاري: ٤٩٣٠].

وإليك هذه القصة الجميلة: سأل الإمام الشعبي - رحمه الله - القاضي شريحاً - رحمه الله - عن حاله في بيته، فقال: (من عشرين عاماً لم أر ما يُغضبني من أهلي. قال له: وكيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً.. قلت في نفسي: فلأتطهر وأصل ركعتين شكراً لله. فلما سلمتُ وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت. ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تُحب فآتيه، وما تكره فأتركه. وقالت: إنه كان لك في قومك من تتزوجه من نسائكم وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك!!.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموقع. فقلت: أحمد الله وأستعينه، وأصلى على النبي وآله وأسلم، وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظّك،

وإن تدعيه يكن حجة عليك.. أحب كذا وكذا.. وأكره كذا وكذا.. وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها. فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري. فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك، فآذن له؟ ومن تكره، فأكره؟. قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة في البيت. قلت: من هي؟ قالت: ختنك - أي أم زوجتك - فالتفتت إليّ وسألتني: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة. قالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها إلا في حالين: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.. فأدّب ما شئت أن تُؤدب، وهذّب ما شئت أن تهذب. قال شريح: فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها من شيء إلا مرة وكنتُ لها ظالماً!!).

٤١ - لا تأخذ بكلام الغضب:

المرأة قد تغضب لسبب أو لآخر، وقد تنفعل، وأكثر ما يثيرها الغيرة أو الإحساس بالإهمال، وقد تتلفظ في حال غضبها بكلمات مزعجة، وقد تقول كلاماً مؤلماً، مثل: أكرهك، لا أطيقك، أنت كذا وكذا، أو سأفعل كذا، بل قد تطالب بأخطر الأمور مثل الطلاق وغيره من الكلمات الصعبة، ولكن إذا هدأ

غضبهما - وقد يكون بعد لحظات - فإنها تناقض كل ما قالت وتنكر كل ما أعلنت، بل إن كلمة (أكرهك) قد تحمل في ثناياها كلمة: أحبك، أهيم فيك، لذلك على الزوج ألا يأخذ بلحظات الغضب، وكلمات الانفعال، فإذا كانت الشريعة لا تؤاخذ المرء بقوله أو فعله في حال غضبه الشديد، فما بالك بالإنسان المسلم مع من يحب!. يجب أن يتعلم من أخلاق شريعته وسمو منهجه.

٤٢ - فن الجنس:

لا حياء في مسائل الدين، ولا خجل في قضايا الجنس، كيف! وهو أساس كبير في الحياة الزوجية، كيف! وهو فن قد يملأ الحياة الزوجية أنساً، وهناءً، ومتعة، وحباً، وتعلقاً، وتشوقاً، ولهفة، وهياماً، وغراماً، وراحة، وطمأنينة، وقد يكون أحياناً نكداً، وهماً، وغماً، وخصاماً، وكرهاً، وحقداً، وتعاسة، وعذاباً، وذلك إذا أهمل جانبه، أو أسيء فهمه.

إن متعة الرجل في المرأة، ومتعة المرأة في الرجل، بل هي أعظم المتع وألذ الشهوات على وجه الأرض. إنها المتعة التي هفت لها قلوب، وتاقت لها أرواح، وطربت لها مشاعر، بل وذهبت لأجلها نفوس، وطارت رؤوس، وبذلت أموال وصرفت أعمار.

إنه أعظم لقاء بين اثنين، وأعجب اتصال بين قلبين، روحان تمتزجان، وجسدان يتحدان، ومشاعر تتعانق، طرب ونشوة، هيام وصبوة، عقول تتيه، أرواح تسافر، آهات وقبلات،

ضحكات وعبرات، وتنهيدات، لحظات ينتشي فيها النهار، ويضيء الليل، ويطرب المكان، ويتيه الزمان. لحظات كأنما هي الحياة في أجمل متعها، واحتفال بهيج على عزف تتراقص له كل ذرة من ذرات الجسد، وتغني فيه الخلجات غناء يخرج عن كل مألوف، ويترنم بأعذب الحروف.

تصبح فيه الأنفاس لهيب أشواق، والصدور حرارة عناق، يرتمي فيها العاشق في أحضان معشوقه، فينسى كل آلام الحياة وآمالها، ويختصر العمر كله في تلك الدقائق التي يُستلب فيها قلبه، ويُختلب فكره، ويُهيمن على مشاعره. هناك في تلك الرحلة يحقق المحب آماله، ويضع القلب رحاله، ويأخذ الشوق مجاله، ويجني العاشق مناله، فتغرد بلابل الهوى، وتصدح طيور الرضا، وتعبق أزهار اللقاء، وتفوح أطياب الصفاء، وتهدأ المشاعر الثائرة، وتهتدي الأفكار الحائرة، وتفيق الشهوة المجنونة، وتسكن الضمائر المفتونة، فيا لها من لحظات أعجب من العجب، وأطرب من الطرب، وأمتع من المتع، تفوق كل خيال، وتتحدى كل وصف، وتربو على كل بيان، فسبحان الخالق الديان، الذي خلق الإنسان، وأودع فيه الحب والهوى والحنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان!.

لقد جاء القرآن الكريم بأعذب الكلمات وأدق التفصيلات في هذه المسألة، وما ذلك إلا لأهميتها، وكبير أثرها، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والرفث

مقدمات المباشرة، أو المباشرة ذاتها، وكلاهما مقصود هنا ومباح.. ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفافة، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة، وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته، وتوقظ معنى الستر في تيسير هذه العلاقة.

قال تعالى مبيناً جمال حياة الزوجية: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وهو أبدع تعبير، وأروع وصف، وأبلغ كلام.

وقال تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما أن حديث القرآن عن الحور العين قد جاء حديثاً ماتعاً، ووصفاً رائعاً، يأخذ بمجامع القلوب، ويهز خلجات الأرواح، وما ذلك إلا لعلمه تعالى بحب الإنسان للمرأة، وطربه لها، وأثرها في حياته، وشدة ميله إليها، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٦ - ٥٨].

أما المصطفى ﷺ فقد علم الدنيا كلها فنون الحب الصادق، والشوق العابق، والعاطفة الجياشة، بل ما ترك ﷺ

أمراً من أمور الحياة الخاصة إلا وعلمنا منه علماً، وما كلامنا هنا إلا مجرد إشارات سريعة لروائع الشريعة.

لقد ضرب ﷺ أعظم القدوة للزوج الصالح، ورسم أهم المعالم للحياة الزوجية. علم الرجل أدق المسائل، وأوصى الزوجة بأهم الوصايا، وسوف أورد بعضاً من تلك النصوص دون شرح أو تعليق.

قال ﷺ لجابر رضي الله عنه في أحد أسفاره: «ما يعجلك»، قال: كنت حديث عهد بعرس، قال: «**أبكراً أم ثيباً**» قال: ثيباً، قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**» [أخرجه البخاري: ١٩٩١]، وفي رواية قال: «**فأين أنت من العذارى ولِعابها**» [أخرجه مسلم: ٧١٥]، بكسر اللام، ووردت بضم اللام (ولُعابها)، قال بعض العلماء في شرحها: وفيه إشارة إلى مص لسانها، ورشف شفتيها، ويقع ذلك عند الملاعبة والتقبيل.

ويقول ﷺ: «**كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق**» [أخرجه الدارمي (٢٤٠٥) وحسنه محققه].

ويقول ﷺ: «**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود، فليتوضأ بينهما وضوءاً**» [رواه مسلم: ٣٠٨].

ويقول ﷺ: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**» [أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وصححه الألباني].

وروي عنه ﷺ قوله: «إذا جامع أحدكم أهله فليصدُقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها» [أخرجه أبو يعلى: ٤٢٠١].

لي صاحبٍ متعديٍ كل الاوصاف
وحبه تحدّى كل حدٍ ومقياس

أذوب في شوقه وذوقه والالطاف
هواه يسري في عروقي والانفاس

يهتز قلبي كل ماهز الارداف
واتيه في قد رشيق ومياس

وان قام يرقص ويتمايل بالاعطاف
تهيم روحي فيه والفكر يحتاس

رهيب يا ويلي اذا لبس شفاف
أغيب في دنيا بعيده عن الناس

واوقات اخاف ان ينقلوني بالاسعاف
من رجفة بالقلب ولا وجع راس

أمور قمور ادعج العين هداف
حبوب طيوب ابيض القلب حساس

روحه حضاريه مع صدق وعفاف
وله منطق اغلى من الدر والماس

جاوزت في حبي لها حد الاسراف
وخالفت ما قاله علي وابن عباس

يا الله يا منزل تبارك والاعـراف
تملا حـياتي مع حـبيبي بالايناس
واغـفـر لمن يرجـوك يا رب ويخـاف
من زلتـه لكن مـا يعـرف اليـاس

إن الرجل والمرأة يستطيعان الصبر على الجوع أو على الفقر أو على متاعب الحياة مهما كانت، ولكن أحدهما لا يستطيع الصبر عن الآخر، ولا يسلو منه أبداً.

لقد أطلت كثيراً في الحديث عن الجنس، مع أن الأمر يحتاج إلى مجلد، وما ذلك إلا لمعرفتي الجازمة بأثره في سعادة الحياة الزوجية من عدمها، وأثره في حفظ الأخلاق وصيانتها، فما الذي نراه اليوم على الشاشات والصفحات والمنتديات؟، أليس كله استثارة للشهوات، وإسعاراً للجنس، وإغراء بالمتعة؟.

وإنه من خلال معالجتي لكثير من القضايا الأسرية رأيت أن من أكثر أسباب الانحراف لدى الجنسين هو عدم الاهتمام بالنواحي العاطفية والجنسية.

إن العواطف الجنسية إذا لم تأخذ حظها الوافي من الري والشبع تتحول إلى سعار مخيف، ونيران حارقة، وسباع ضارية، وجنون مدمر، وسرطان فاتك، ولذلك فإن الثقافة الجنسية الهادفة مطلب أهم، وضرورة ملحة، وفهمهما وتعلمها والعناية بها من شأنه أن يريح النفوس، وينشر الأمان، ويبعث الرضا،

ويمنع المعاصي، ويحد من المشكلات، ويعين على استقرار البيوت.. وإن هنالك رجالاً ونساءً يهملون هذا الجانب، ولا يولونه حقه من العناية، فيكون سبباً في ضياع حياتهم، وتنغيص معيشتهم، أو انحراف أحدهم، بل الغريب في ذلك أن بعضهم يقلل من أهمية الجنس، بل ويغض من شأنه بدعوى التدين، ويرى أنه مشغلة للوقت، وسذاجة في التفكير، ولهو عن العبادة، ومن كان هذا تفكيره فهو بذلك يخالف الدين، ويحارب الفطرة، ويقلل من شأن الشريعة، بل وكأنما يعترض على الله تعالى الذي خلق الخلق، وركب فيهم هذه الصفات، وغرس تلك الغرائز، بل وجعل عليها أجراً وثواباً وكأنما هي طاعة، يقول ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، فيستغرب الصحابة هذا الأمر، فيقولون له: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته فيكون له الأجر، فيقول: «**نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» [أخرجه مسلم: ١٠٠٦].

ويعطي الإسلام الأجر الكبير على اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته، ويعتبر الدين أن ملاعبة المرأة ليست من اللهو، بل هي من الجد المبارك المأجور، وعليك أن تتأمل حياة الأنبياء والعلماء والصالحين على مر العصور لترى دور المرأة في حياتهم وأخبارها في مسيرتهم.

ولذلك فإن على الرجل أن يثقف نفسه ثقافة جنسية واسعة، ولذلك مراجعه ومجالاته التي يستعين بها، وعليه أن

يهتم بإشباع رغبات الزوجة العاطفية حتى لو كانت رغبته الجنسية قليلة، فليستثر مشاعره وأحاسيسه لأجلها، وكذلك الزوجة: عليها أن تبذل كل ما في وسعها، وأن تتفنن في الدلال والجمال والإثارة إذا أرادت أن تحافظ على زوجها.

وإن على الزوج إن كانت لديه مشكلات جنسية أن يبادر بعلاجها، وألا يستحي من ذلك أو يتهيب أو يتهاون. عليه أن يبحث عن أفضل المصحات فيلجأ إليها ليعالج أي قصور أو إشكال لديه، ولا حياء ولا خجل ولا غضاضة في ذلك.

٤٣ - لا تفرض عليها رغباتك الخاصة:

بعض الرجال له ذوق معين في الملبس أو المأكل أو المشرب أو طبيعة الجو، وعلى المرأة أن تراعي ميول زوجها قدر الإمكان، ولكن يجب على الرجل أيضاً أن يراعي ميولها ورغباتها، فلا يلزمها بما يلزم به نفسه، وعليه أن يجعل هناك مساحة كافية للحرية الشخصية التي لا تتعارض معه ولا تصادم حريته.

٤٤ - لا تنس الدلع:

أجمل شيء لدى المرأة التدليل فإن ذلك يملأ نفسها رضاً وبهجة وغروراً محموداً حتى لترى أنها كأنما تطير في السماء، أو أنها فراشة جميلة تتنقل على رحيق الأزهار في نشوة وخفة وطرب، فعلى الرجل ألا ينسى هذا الجانب النفسي الجميل،

غـازلْها، عـاكِسْهـا، لاعبها، غنّ لهـا، أنشـدهـا، امـدحـهـا، اثن عليـهـا.. إذا كانت مـعك في السيـارة ضـاحكهـا ومـازحـهـا، وإذا كانت معك في غـرفة نومك فـاعط الدلال نصيباً كبيراً، خـذها في نزهـة، اعبث بشـعـرها، تفنن في لثـمـهـا. اسـبح مـعـهـا في مسبحك الخاص المحتشم، العب معها أي لعبة تحبها، خذها في رحلة بحرية، في نزهة برية في جولة عـاطفيـة، قـدم لها زهرة، اقطف لها وردة، سـابقهـا، مـرجـحـهـا، تخل عن صـهـيل الرجولة العارم، وعُـد معـهـا طفـلاً صـغيـراً بريئـاً يرى الحيـاة بمنظار خلاب فتان وضيء.

يا سـيـدي يـكفـيك هـجران وصـدود
ارحم حـبـيب فـيك ولهـان بالـه
وده يقـضي العـمـر وياك ويسـود
عـهـد المنى وتكون دايم قـبـالـه
ويعطر ايامـه بسلوان وسـعـود
ويشـرب كؤوس الحب حـتى الثمـالـه
واسـيح بك فـالكون ونروح ونعـود
وحـتى العـمل بنهيـه بالاسـتـقـالـه
ويـوم بـأوربـا ويـوم بـهـلـيـود
ويـوم بسـوريـا ويـوم بصـلالـه
ورحـلات بـحـريـه وسـبـاحـه وسـيـفـود
ونتـأمل امـواجـه ونسـبـر جـلالـه

وجـولات بريه وتطعـيس ونفـود
نعـيش فـيـهـا البـر نطوي رمـالـه
والشـاي والنعناع وسـهـود ومـهـود
والـبن والـهـيـل تـفـاوح دلالـه
لهـو وغنى وهيـام وركـوع وسـجـود
للـي وقـانا من الحـرام بحـلالـه
وآحط لك قـصـر وخـدام وجنود
وحـدايق غنًا يمين وشـمـالـه
في شـارع كله حـواجـز ومـسـدود
وبوابة كـبـرى وهيـبـه وهالـه
وفي كل غـرفـه ورد وزهور وعـقـود
وصـور لنا ولوحـات في كل صـالـه
ومـا لك طلب مرفوض أو راي مـردود
وامـرك نبـادر كلنا بامـتـثـالـه
والقلب يلقى فـيك مـا كـان منشـود
ويحط عندك يا حـيـاتي رحـالـه
ونعـيش باقي العـمـر في ظل ممدود
من الرضـا والانس ياخـذ مـجـالـه
سـبـحـان من سـواك يا سـيـد الخـود
واصـبـحـت آيه من دلايل كـمـالـه

٤٥ - لا تغضب من نجاحاتها:

هنالك نوع من الرجال يريد للمرأة أن تبقى جاهلة بالدنيا، أو بعيدة عن الحياة، أو قليلة البضاعة في العلم والمعرفة والإبداع لاعتبارات كثيرة، فإذا ما رأى منها نجاحاً أو تقدماً أو ثناءً من الناس عليها، أو اهتماماً بها، يضيق بذلك ذرعاً، ويبدأ يكسر مجاديفها، ويحطم آمالها، ويقف في وجه طموحها دون وجه حق.

٤٦ - لا تبتزها:

قد تكون المرأة موظفة ولها مرتب طيب، ومن الواجب على الزوجة أن تقف مع زوجها وأن تشاركه مطالب الحياة، وخصوصاً إذا كان محتاجاً إلى دعمها، ولكن على الرجل أن يستغني عما في يدها قدر الإمكان، فإن احتاج إلى شيء فبالمعروف والتراضي، على أن يقدر لها ذلك الجميل ويحفظه، ولكن مما يؤسف له أن هنالك رجالاً لا تعرف الزوجة من الوظيفة إلا الدوام والتعب والإرهاق، أما المرتب فهو لجيبه مباشرة، وياليت ذلك في أمر قد يفيدها ويفيد أولادها، بل قد يكون لضياعه على نفسه وشهواته، والأمرُ من ذلك أن بعضهم يجمع رواتب زوجته ثم يتزوج به زوجة أخرى، وذلك مظهر من أسوأ مظاهر الظلم والتجني.

٤٧ - لا تظن أن المسألة أموال:

هنالك من الناس من يفهم أن إكرام الزوجة وحبها هو في توفير متطلباتها المعيشية فقط، وذلك أكثر ما يكون في حياة

الأثرياء، فإن بعضهم يظن أن واجب الزوجة عليه أن يهيئ لها القصر الجميل، والسيارة الفارهة، والسائق والخدم، وما إلى ذلك. أما الحياة العاطفية فهي تنتحب، فإذا ما توسلت الزوجة واعترضت أو اشتكت إليه بأن الحياة مملة، والحاجة إليه ملحة، صرخ في وجهها وأرعد وأزبد، مذكراً لها بكل ما وفره لها من سبل الراحة، وأسباب المتعة، ولسان حاله يقول ماذا تريدين مني، اتركيني لنفسي، اتركيني لشهواتي، لأسفاري، لمزاجي، لتجارتي، لاجتماعاتي، فقد وفرت لكِ كل شيء، ويجب أن تقدمي لي كل آيات الشكر والعرفان. فنقول لهذا الصنف - مع الشكر لكل جهودك وكرمك - فإن ذلك كله لا يساوي عند المرأة ساعة حنان، ولحظات حب، وكلمات غرام، ومشاعر شوق. المرأة قلب تواق مرهف حساس، كله مشاعر وحب وحنان، وهو يتوق إلى تلك الأحاسيس، كما يتوق الظمآن إلى الماء البارد، وهي لا تستطيع الحياة بدونها، كما لا يستطيع السمك الحياة خارج الماء، ولذلك فإن أهم أسباب سعادتها هو أن تجعل لها وقتاً كافياً من حياتك، من اهتمامك، من حبك، من حنانك، وإلا أنت بذلك قد تعرضها لأخطر المخاطر، وما أكثر الذين يتصيدون هذا النوع من النساء المحرومات، ليوهموهن بالحب، ويخدعوهن بالعاطفة الكاذبة، ويتباكون عليهن حتى تقع الضحية وتحدث المصيبة، ثم يتركوهن على رصيف الضياع بعد أن يدوسوا بأقدامهم على كل أزهار الحب الخادعة التي تظاهروا بها.

خليل علته من صاحب له ضيع الميثاق
عديم الذوق والاحساس ما له في الهوى مله
تمادى في ضلاله دون دستور ولا أخلاق
وهذي عادة اللي نظرته للحب مختله
وخله نظرته أسمى من الاموال والاغداق
إذا غاب الهوى وش عاد يبي بالمال والفله
يبي صدق الغرام وكلمة حلوه من الأعماق
يبي عطف وحنان وغيث شوق يبرد الغله
على من يا حبيبي تحرق ازهار الشباب احراق
على من تورد الصدر الحنون الضيق والعله
ترفق بالقوام الغض بالوجنات بالأحداق
بذا القلب الرفيق بصوتك الفتان بالطله
كفاك من السهر والفكر والتعذيب والارهاق
كفى ترضى لمن باع الهوى بالهون والذله
تنكر للذي ما قدر أشواقك ولا تنساق
وش اللي يحوجك والطيب عندك والحلا كله
يغار الورد من ريحك وذوقك فتنة الأذواق
ويخجل من سناك البدر يوم انك شبيه له
دخيلك ريح اعصابك وعش بمشاعرك عملاق
ويكفي يا زكي الروح تعذيب اسألك بالله

٤٨ - المرأة تريد رجلاً:

من السلبيات المقيتة أن هنالك رجالاً يتراخون ويلينون ويرقون ويضعفون إلى أدنى درجة، فيجعل كل شيء إلى المرأة، وكل شيء برأيها، لا يأمرها بشيء، ولا ينهاها عن شيء، ولا يسألها عن شيء، لا يخاف عليها، ولا يغار، ولا يغضب، وقد يظن بعضهم أنه بذلك قد أصبح قمة في الأخلاق والحب والإكرام وإعطاء الحرية، وإن هذا الصنف أول من يستهين به امرأته نفسها.

إن المرأة حتى وإن أعجبتها طلاقة الحرية وأخذت تصول وتجول كيفما تشاء، فإنها في داخلها ترفض هذا التصرف، وتضج بتلك الحياة. إن المرأة لا يملأ قلبها، ولا يمتلك مشاعرها، ولا يكبر في عينها إلا الزوج الذي تشعر برجولته وشهامته وقوته وغيرته عليها، بل لقد سمعت من كثير من النساء من تقول: أتمنى أن يضربني وأشعر أنه يغار عليّ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فهو في غاية البرود، ولو كان يحبني لغار عليّ، لذلك يجب على الرجل أن يكون عاطفياً في عقل، محباً في حرص، واثقاً في متابعة، ليناً في قوة، هيناً في فتوة.

٤٩ - لا تكلفها مهامك:

من العجب أن بعض الرجال لا يكتفي بتقصيره مع زوجته، وإهماله لحقوقها، وتضييعه لواجباتها، بل يضيف على ذلك أن يتنصل من المهام والمسؤوليات التي هي من اختصاص الرجل، فيريد منها أن تكون امرأة ورجلاً، فهي المسؤولة عن المنزل، والمسؤولة عن الأبناء، والمسؤولة عن متطلبات الزوج التي لا

يسمح بالتقصير فيها، وهي مع ذلك المسؤولة عن متطلبات المنزل، فهي التي تذهب إلى الأسواق، وتشتري الحاجات، وهي التي تراجع المستشفيات، وتتابع المدارس، وتركض بنفسها وراء كل شيء، ومع ذلك فقد لا تجد لذلك تقديراً، بل وقد يتركها الرجل في خضم هذه المتاعب وهو قد يكون مرتمياً في أحضان عروس ناعسة.

٥٠ - كرر ليلة العمر:

وقبل أن نختم هذه الوصايا فإنني أقول لك أخي الحبيب: كرر ليلة العمر، أعد ذكراها، استنشق عبيرها، أحي أخبارها، استمتع بجمالها. إن عليك أن تجعل من ليلة العمر ليالي، ومن ذكرى الحب ذكريات، ومن ساعة المودة ساعات. فبين الفينة والأخرى حاول أن تصحب زوجتك في نزهة جميلة، ثم استأجر لها ليلة في أحد الفنادق، تعيشان فيها لحظات من الصفاء والهناء وتجديد لواعج الشوق والحب والهوى، فإن لم تستطع ذلك، فلا أقل من رحلة برية، أو نزهة بحرية، تعودان بعدها إلى غرفة نومكما، وتضمران النية أن تلك الليلة استعادة لذكريات ليلة العمر، وإنما الأعمال بالنيات.

٥١ - الحب:

املأ حياتك بالحب، واعمر دنياك بالحب، وانظر إلى الكون بالحب، ولقد جعلت الحديث عن الحب خاتمة الوصايا ليكون عطر البداية، وأساس الرواية، وعبير النهاية.

الحب كلمة جميلة المعنى، رائعة المبنى، بديعة الفحوى، جميلة البشرى.. الحب أحرف تنشر الرضا، وتبعث الهوى، وتزين المنى.. الحب كلمة تهز الأرواح، وتسعد النفس، وتطرب المشاعر، وتغرد على عزفها الضمائر.. الحب أغلى من كل غالٍ، وأحلِ من كل حالي، وأمتع من كل متعة.. إنها كلمة ألذ من الطعام، وأجمل من الشراب.. إنها نغم جميل، وعزف جليل.. الحب نهر يتدفق، وغيث يهمي، وزلال يروي، ودواء يشفي، وعطر يفوح، وأمل يلوح.. إنه الموسيقا الهادئة الهانئة التي إذا عزفت أوتارها في القلب رقصت الروح، وغردت المشاعر، وتمايلت النفس، وتغنى اللسان، وجاد الفكر، وسالت القريحة، وترنمت الخلجات. الحب روح الحياة، ولذة الوجود، وطعم الدنيا، وسكن النفس، وضياء العين، ونور الفؤاد.. حياة بلا حب حياة باهتة، وقلب بلا حب قلب خرب. الحياة جسد، والحب روح، فما قيمة جسد بلا روح، وحياة بلا شوق، ونفس بلا غرام، وضمير بلا وداد.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى العودة الصادقة إلى دوحة الحب، وبستان الود، وينابيع الشوق، وفيوضات الهوى، البيت الذي لا حب فيه بيت كئيب، ومنزل قاتم، وسكن باهت.. والمجتمع الذي لا حب فيه مجتمع مهترئ، وبناء متفكك، وكيان متهدم، والعمل الذي لا حب بين أفراده عمل مزعج، ومكان ممل، ومجال بئيس.

أين بلابل الحب المغردة على أركان الأسر المسلمة؟ أين حب الزوج الذي تفيض أنهاره على زوجته وأبنائه فيجدون برده وسلامه ويستنشقون عبيره وشذاه فيخيم الأمان، وتعبق السكينة، وتحل الراحة؟. أين حب الزوجة لزوجها؟ الحب الذي يشع في روحه فيريح قلبه، ويفعم وجدانه، ويكون زاداً له على القيام بالمسؤولية والنصب للأسرة؟ أين حب الأخ لإخوانه في الله؟ والأخت لأخواتها؟ والقرابة لبعضهم البعض؟ والجيران لجيرانهم؟ والزملاء لبعضهم البعض؟ أين الحب الزكي البعيد عن المطامح والمطامع والخداع والنفعية؟ أين الحب الذي ينشر السعادة، ويبعث الرضا، ويثمر التلاحم والتعاون والتآخي والإيثار والتضحية؟

بل أين الحب العاطفي الغرامي العذري الصافي، الذي يلتزم الأدب، ويحافظ على الحياء، ولا يخدش الحشمة؟.

آه من فكر بدنيا الحب تاها
آه ممن ذاب قلبي في هواها
غادة مياسة فتانة
مزقت روح المعنّى مقلتاها
كم سهرت الليل أشكو هجرها
لم يعد للأنس من معنى سواها
تلهب الأحلام أشواقي فما
غفلت عيناي إلا أراها

تارة أحلم أني زرتها
أبرد الغلة من نار جواها
وكأني تارة في دفئها
وأراني مرة قبلت فاها
بسمة كالفجر والحرف انثنى
هيبة مما جنته وجناها
وغدا البدر إذا ما أسفرت
وجهها والغصن مياساً أخاها
ليت لي من حيلة في وصلها
يرتوي الوجدان من شهد لماها

إن الحب فطرة إنسانية، والله تعالى جعل فتنة الرجل في المرأة، وفتنة المرأة في الرجل، وميل كل منهما للآخر ميل فطري غريزي، والدين لا يحارب الحب، كيف وهو قائم على أركان من الحب، وأسس من الشوق، ولكنه يهذبه ويزكيه، ويرتقي به، ويمضي به إلى المسار الصحيح الذي تكون به سعادة المتحابين في الدنيا والآخرة. ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[الزخرف: ٦٧].

هذا هو المصطفى ﷺ المشغول بالوحي، والمكلف الرسالة، والمستأنس بجبريل، والمتحمل للأمانة الثقيلة، ومع كل ذلك يعلم الدنيا كلها كيف يكون الحب النقي، والشوق الطهور، والغرام الأسمى، فيهتف بأحلى كلمات الغرام، ويترنم بأروع عبارات

العشق قائلاً: «**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**».. وكان يداعب امرأته ويمازح نساءه، ويسابق عائشة، ويدير الكأس ليشرب من موضع فمها.

ويعرف ﷺ ما يفعله الحب في قلب المحب، ولذلك ثبت في الحديث قوله: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**» [أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وصححه الألباني].

إن الأسر حينما تقوم على الحب فإنها تعيش في بستان جميل من الرضا والأنس والبهجة والسلوان. إن الحب أساس من أسس هذا الدين، فالتوحيد حب، والعبادة حب، والسنة حب، والمؤمنون حب، والأخوة حب، والأمة حب، والتمايز بالحب، والدرجات العالية في الجنة بالحب. فأين بلابل الحب المغردة على أركان الأسر؟ وأين أزهار الحب العابقة في قلوب الأهل والأبناء؟.

إن الحب أساس يقوم عليه الدين، فالعبودية هي كمال الحب مع كمال الخضوع، فكيف يكون الحب أساس الدين ولا يكون أساس البيت. إن الحب شرط في كمال الإيمان: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**» [أخرجه مسلم: ٥٤]. فإذا كان هذا بين عموم المؤمنين فكيف به بين أبناء البيت الواحد؟. «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [أخرجه البخاري: ١٣] فكيف بالأب والأم والأبناء والزوج والزوجة؟. «**المتحابون في جلال الله على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء**

والصديقون والشهداء» [أخرجه الترمذي (٢٣٩٠) وصححه]، فما بالك إذا خلا قلب المسلم وبيته من الحب؟.

إن الحب يثمر العفو والتسامح والصفح والرضا والنظر إلى الحسنات، والغض عن السيئات، وتلمس رضا المحبوب، والحنو عليه، والنصب لراحته. إنه يزكي الأرواح، ويسمو بالقلوب، ويهذب الضمائر، ويرقق المشاعر، ويرهف الأحاسيس، وتلك أمور مطلوب توفرها في كل إنسان، فالمؤمن الذي يحب ربه ويحب كتابه ويحب نبيه عليه أن يفيض أنهار الحب على أهله وبيته وإخوانه وجيرانه ومجتمعه، حتى يكون المجتمع كله مجتمعاً متحاباً متواداً متآخياً، فإن الإسلام هو الأسرة الكبرى، والبيت هو الأسرة الصغرى، ونجاح الأسرة الكبرى مرهون بنجاح الأسرة الصغرى، فمنها تتسع دائرة المثل، وتعبق أطياب الحب والمودة والتسامح.

انتي شذى عمري وانسي وسعدي
يا بسمة أيامي ونور الليالي
وانا بحور أشواق وانهار ودّي
وأنا لقلبك منهل من زلال
يا مشغلتني بين جزرٍ ومدٍّ
وملوعتني بين هجر ووصالي
حنّي علي اللي زارعك غصن وردي
في مهجته بالحل والارتحالي

في غيبتك ينهد حيلي وجهدي
ويكاد حتى الصخر يرثي لحالي

واليا حضرتي خيم الأنس عندي
الروح نشوى والو نس شي خيالي

كل المعاني فيك عقل ورشدي
ورزانة تزري بشم الجبال

ويتيه قلبي بين ردف وقدي
ورموش فتاكة وغنج ودلالي

ودم خفيف ومنطق مثل شهد
وعذب تحدى في الحلا كل حالي

عندك تذوب الروح ويدوم سعدي
وأنسى هموم الأرض لو هي ثقالي

وأنسى تقاليدي وعرفي وحدي
وأقول عندك كل شي ما يقالي

وترقص لي الدنيا ولا أشوف قدي
وأسكر ولكنه بخمر حلالي

لا تصدقي مني خصامي وصدي
وان قلت لك غيبي تراها تعالي

أنتي فضاءاتي وطموحي ومجدي
وأنتي الغنى حتى لو الجيب خالي



الخاتمة

إن الزواج في الإسلام له مقاصد عظيمة، وحكم جليلة، فهو فطرة إنسانية وآية ربانية، وبه تُعمر الحياة، وتُقام الدنيا، وتحفظ البشرية، وتتكاثر الأمم، وتتمازج الأرواح، وتتواصل النفوس، وتتعارف البشرية، وتبنى المجتمعات، وتزكو النفوس، وتحفظ الأخلاق، وتوطد الفضائل، وتحارب الرذائل، وتهدأ الأفكار، وتسكن الضمائر، وتسمو الصفات الجميلة، وتنمو السمات الجليلة، من الحب، والرحمة، والود، والتعاطف، والتآخي، والتعاون، والتسامح، والتغافر، والتواصل.

إنه النواة لقيام البيت المسلم، وبناء الأسرة المؤمنة، التي ستكون لبنة في بناء المجتمع الإسلامي الكبير، فما هو المجتمع المسلم إلا مجموعة الأسر والبيوت المسلمة، فإذا تكاثرت تلك الأسر، وحسن قيامها، وجمل نظامها، وعذب انسجامها؛ طابت آثارها على المجتمع، وزكت ثمارها في الأمة.

وإنني قد بذلت جهدي، ونثرت كثيراً مما في كنانتي، ونقشت أسطراً من تجاربي، وكتبت أحرفاً من سويداء قلبي في هذا الكتاب. ولقد من الله عليّ بتأليف كثير من الكتب وجدت قبولاً واسعاً والحمد لله، ولكن صدقوني إن هذه الرسالة كانت ذات مكانة خاصة في نفسي، وأشعر أنها مرآة تعكس بصدق ما يجيش به صدري، ويختلج به وجداني، وتفيض به روحي،

من حب وصدق وحرص على البيوت المسلمة، ومن طمع في إدخال السرور إليها، ونشر ورود الحب عليها، وما ذلك إلا لما عايشته ورأيته من أحوال الناس، وأخبار البيوت، وقصص الأسر، مما يتطلب من كل محب للخير، غيور على الأمة، أن يبذل كل ما فيه وسعه للمحافظة على المجتمع المسلم وتماسكه، وإنارة طريقه بكل ما ينفعه ويمتعه ويرفعه.

إن استقرار الأسرة وطمأنينتها وتحابها وتآلفها يثمر استقرار الأمة جمعاء ورقيها وازدهارها، ومتى ما تفككت الأسر، وتهدمت البيوت، وضاعت المثل، وجفت ينابيع الحب، ونضبت أنهار الود، واتسعت دروب الخلاف، وكثرت بذور الشقاق، فهو الحسرة والندامة، والضعف والهوان، والخيبة والخسران للأمة بأكملها.

إن في هذه الرسالة على إيجازها أسساً عظيمة، ومثلاً كريمة، ودرراً مضيئة، تنثر الحب، والرضا، والأنس، والمنى، والهدوء، والاستقرار لكل من أخذ بها، وأفاد منها، ومضى على نهجها، فهي قبس من نور الوحي، ومدد من فيض الحق، وعبق من شذى النبوة، جاءت ثمرة لتجربة، وخلاصة لمعايشة، مزجتها بروحي، ورويتها بدمي، وسقيتها شهد مشاعري وخواطري، أسهمت بها في الأفراح، لتسلو بها الأرواح، وما أردت إلا الإصلاح، فاقبلوها من قلب محب، وفؤاد مشفق، وضمير عطوف، ومشاعر صادقة. زادكم الله أفراحاً، وعمر

قلوبكم صلاحاً، وأقر أعينكم بأزواجكم وذرياتكم، وجعلكم من أئمة المتقين، وثلة المؤمنين، وخيار الصالحين. آمين، آمين، آمين.

هذه معزوفة الحب التي
بثها قلبي لأغلى الأصفياءِ
أحرف من فيض روحي صوتها
يبعث الرضوان في أسمى لقاءِ
إنها لحن الأماني والمنى
وعبير الود يسري في دمائي
في ثناياها دروس للهوى
وفنون للتسامي والوفاءِ
تسعد الخلان تجري سلسلاً
للرضا والعيش في ظل الصفاءِ
بارك الله عليكم ولكم
وحباكم من أفانين العطاءِ
وأدام الأنس والبشرى لكم
يا شذا عمري وبستان انتشائي
فرحةُ المسلم أغلى فرحةٍ
لفؤادي وهي أنسي وهنائي
فانعموا بالوصل والحب الذي
فيه للأرواح أسرار الشفاءِ
فيه برد وسلام ورضاً
فيه سلوانٌ وآماد ضياءِ

فــيــه بنيـــانٌ لبـــيـتٍ مـــســلـم

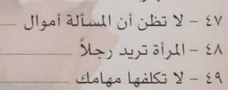
يـعـمـر الدنيـا على وحي الـسـمـاءِ

ولـكـم شــــوقي وحـــبي زاكـــيــاً

ولـكـم فـــيض احـــترامي ودعـــائي




المحتويات











إنها الليلة التي يُطلق فيها العنان لأغاني الروح، وأهازيج الشوق، وتراتيل الغرام، وهمسات الهيام. الليلة التي ترقص فيها المشاعر، وتميس النفوس، وتتمايل الأجسام، وتطرب الخلجات. إنها الليلة التي تسكر فيها العقول بالخمرة الحلال، وترتوي فيها القلوب من النهر الزلال، ويستريح المسافر المضنى إلى واحة وظلال. يقطف أزهار الجمال، ويتذوق ثمار الدلال، وينعم بدفء الوصال.

إنها الليلة التي يفطر فيها المحب بعد طول صيام، فإذا بالروح تنادي: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الحب إن شاء الله، فتجتمع لهذا الصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء حبيبه، ويظفر بلثم فم أطيب إليه من ريح المسك.

ISBN:3-905-52-9960
مطبعة سفير: تليفون ٤٩٨٠٧٨٠-٤٩٨٠٧٧٦ الرياض
امتياز التوزيع العبيكان Obeikan
الرياض - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة - هاتف: ٤
فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ - ص.ب ٦٢٨٠٧ الرياض
www.obeikanpublishers.com